التعريف بالحديث الشريف

تأليف

الدكتور محمد السعدي فرهود
المدرس فى كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر



١٣٨٩ هـ — ١٩٧٠ م

دار الطباعة المحمدية
بالأزهر - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وعلى بركة الله ورضاه أقدم هذا الجهد المتواضع فى التعريف بحديث رسول الله ، محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله ، وصحابته ، وتابعيه ، الذين حفظوا مقاله . وسجلوا فعاله ، وحرصوا على رواية حديثه ، ونقلوه إلى المهديين من أمته ، فكان - وما يزال - لبصائرهم نورا ، ولقلوبهم شفاء ، ولأرواحهم هدى ورحمة .

وقد بدأت بإيضاح معنى الحديث والسنة ، ثم تناولت الحديث فى التشريع ، والفرق بين الحديث القدسى والحديث النبوى ، وقلت كلمة فى جوامع كلمه - صلى الله عليه وسلم - مثال الفصاحة والبلاغة والأدب . وبعد هذا درست رواية الحديث ، وحققت كتابته فى عهد الرسول ، وعرفت تعريفا موجزا بأشهر الرواة من الصحابة والتابعين ، وانتقلت إلى دراسة تدوين الحديث ، وما أسفر عنه من المجاميع والمساند والصحاح ، وأوضحت ما اشترطه الأئمة فى الرواية حتى تصح وتقبل ، وأبنت عن بعض المصطلحات المشهورة فى الحديث التى يصادفها قارىء السنة وسامعها ، وما قيل فى شأن رواية الحديث بالمعنى ، وأحوال علماء الحديث ، مع التعريف بعشرة من أئمته .

وبعد هذا استعرضت آفاق الحديث وموضوعاته ، وألقيت الضوء على عدد من هذه الموضوعات ، يشارك مشاركة بناءة وفعالة فى رشاد أمتنا المسلمة وهداها إلى سواء السبيل .

وأرجو الله أن ينفع بهذا الجهد المتواضع ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم . إنه سميع مجيب .

القاهرة { ذو القعدة ١٣٨٩ هـ
فبراير ١٩٧٠ م

السعدى

معنى الحديث والسنة

الحديث : هو حديث رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو : كل ما صدر عنه ؛ قولا ، أو فعلا ، أو تقريرا .

فالقول: ما نطق به الرسول وتلفظ به ، فنقل الراوى عنه أنه - عليه الصلاة والسلام - قال كذا وكذا . . أو أنه سمع الرسول يقول كذا وكذا . وذلك مثل ما نقل عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءا » (أخرجه الشيخان) ، ومثل ما نقل عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إنما الأعمال بالنية ، وإنما لامرىء مانوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » (أخرجه البخارى) .

والفعل : كل عمل عمله الرسول ، فرآه الصحابة وشاهدوه ، فحدثوا به ، وذلك مثل ماروى عن جابر بن عبد الله الأنصارى - رضى الله عنه - أنه قال : « رأيت النبى - صلى الله عليه وسلم - فى غزوة أنمار يصلى على راحلته متوجها قبل المشرق متطوعا » (أخرجه البخارى) ، ومثل ماروى عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصوم حتى نقول : لا يفطر ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم » (أخرجه الشيخان) .

والتقرير : معناه الرضا والموافقة . وتقرير الرسول يعنى أن قولا قيل أمامه أو أبلغ به أو فعلا تم حدوثه وهو - عليه الصلاة والسلام - يشهده ، أو أنه أبلغ بحدوثه ، فقرره الرسول ؛ أى رضى الله عنه ووافق عليه ؛ بالقول ، أو الإشارة الدالة على الرضا ، أو السكوت مع عدم إنكار . حينئذ يكتسب

هذا القول أو هذا الفعل صفة الشرعية . » وقد اتفقوا على أن تقرير النبي - صلى الله عليه وسلم - لما يفعل بحضرته أو يقال ويطلع عليه بغير إنكار - دال على الجواز ؛ لأنه العصمة تنفي عنه ما يحتمل في حق غيره مما يترتب على الإنكار ، فلا يقر على باطل » (١) .

ومن أمثلة التقرير : ما رواه معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : لما بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن قال لي : بم تقضي إن عرض لك قضاء ؟ . قلت : أقضي بما في كتاب الله . قال : فإن لم يكن في كتاب الله ؟ . قلت : أقضي بما قضى به رسول الله : قال : فإن لم يكن فيما قضى به ؟ . قلت: أجتهد رأيي ، ولا آلو . قال : فضرب صدري ، وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله » (أخرجه أحمد والترمذي والدارمي وغيرهم) ؛ فالرسول بتعقيبه هذا أقر صاحبه معاذ بن جبل على ما ارتآه من الرجوع إلى القرآن الكريم أولا كمصدر يلتمس فيه الحكم والرأي ، وإلى الحديث والسنة ثانيا ، فإن لم يجد فيهما ما يسعفه اجتهد ؛ أي بذل أقصى جهده لتحصيل الحكم الشرعي العملي عن طريق الاستنباط من الأدلة الشرعية .

والرسول نفسه قد اجتهد ومن ذلك ماروى أنه - عليه الصلاة والسلام - حينما خرج في غزوة (بدر) نزل منزلا ، فسأله الحباب بن المنذر - رضي الله عنه - : يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل منزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ . قال الرسول : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال الحباب : يارسول الله ، ليس هذا لك بمنزل ، فانهض بالناس ، حتى تأتي أدنى ماء من القوم ؛ فإني أعرف غزارته وصفاءه ، ونغور ماعداه من الآبار ، ثم نبني حوضا ، فنملؤه ماء ، فنشرب، ولا يشربون. فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: لقد أشرت بالرأي (١).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ ص ٢٧٥ طبعة عبد الرحمن محمد .

(١) سيرة ابن هشام ٢ ص ٧٢٢ - ط الحلبي - ١٩٣٩ .

ومارس الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ الاجتهاد . ومن ذلك اجتهاد أبي بكر الصديق فى قتال مانعى الزكاة ، واجتهاد عمر بن الخطاب فى جمع القرآن ، واجتهاد على بن أبى طالب عندما سأله عمر الرأى فيمن اشتركوا فى قتل رجل واحد ، وكان عمر قد تردد فى قتل الجماعة بالواحد ، وكان من رأى على قتلهم جميعاً ، ودافع عن رأيه هذا بقوله : أرأيت لو أن نفراً اشتركوا فى فى سرقة جزور ـ كل أخذ عضواً أكنت قاطعهم (أى قاطع أيديهم للسرقة)؟. قال عمر : نعم . قال على : فكذلك هذه المسألة .

وفى كتب الفقه أمثلة كثيرة لاجتهاد الفقهاء . ومن ذلك اجتهادهم فى مقدار ما يفرض مسحه من الرأس عند الوضوء ؛ فالمالكية يرون مسح جميع الرأس ، والحنابلة يرون مسح جميع الرأس ومن الرأس الأذنان ، والحنفية يرون مسح ربع الرأس ، والشافعية يرون مسح بعض الرأس . وكل منهم يحقق الأمر الوارد فى قوله ـ تعالى ـ : « وامسحوا برءوسكم » .

والسنة (١) : فى اللغة الطريقة ، والسيرة ، حسنة كانت أو سيئة . وعن هذا الإطلاق ما روى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » (أخرجه مسلم) . وروى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » (أخرجه أبو دواد والترمذى) .

---

(١) انظر : إرشاد الفحول للشوكانى ، وانظر للشيخ على الخفيف بحثا عنوانه (مكانة السنة فى بيان الأحكام الإسلامية والرد على ما أثير من شبهات حول حجيتها أو روايتها) من أبحاث المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م .

كما تطلق السنة على الطبيعة ، وعلى حكم الله - سبحانه وتعالى - وتدبيره . ومنه قوله - تعالى - : « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (الأحزاب ٦٢) .

وفى اصطلاح علماء الشريعة تطلق عند الأصوليين على أقوال الرسول -صلى الله عليه وسلم - وأفعاله وتقريراته مما يدل على حكم شرعى . وبهذا ترادف السنة : الحديث .

وفى عرف رجال السيرة والمغازى تطلق السنة على كل ما أثر عن الرسول -صلى الله عليه وسلم - من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو سيرة ، أو خلق ، أو شمائل ، أو أخبار ، أو صفات ذاتية ؛ دون نظر إلى ماقد يثبت به حكم شرعى ، وسواء فى ذلك ما كان بعد بعثته الشريفة وما كان قبلها .

وفى عرف رجال الفقه قد تطلق السنة على مافعله الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم يداوم عليه ، فيندب الناس إلى فعل مثله . ويسمى هذا : سنة ، وندبا ، واستحبابا ، وبهذا تكون السنة قسيما للفرض والواجب ، ومن ذلك : صلاة ركعتين قبل الفجر سنة ، والدعاء عقب الانتهاء من الوضوء بالدعاء المأثور ندبا [1] والتعجيل بالفطر من الصوم قبل الصلاة متى تحقق من غروب الشمس استحبابا .

وقد تطلق السنة عندهم على مايقابل البدعة ، فالسنة هى الأمر المقبول ، والبدعة هى الأمر المرفوض ؛ ومن ذينك ما قاله الفقهاء عن طلاق السنة وطلاق البدعة . فالأول طلقة واحدة فى وقت تكون فيه الزوجة فى طهر من غير من أن يكون قد مسها زوجها فى طهرها هذا وأن يشهد على طلاقه

---

(١) يقول المتوضئ وهو قائم مستقبل القبلة : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،اللهم اجعلنى من التوابين ، واجعلنى من المتطهرين . . أو نحو ذلك.

هذا شاهدين والبدعة ماخالف هذا كله أو بعضه . والحكمة من تلك القيود : إعطاء الفرصة للرجل لكى يتروى ويراجع عقله ، حتى لاتجمح به نزوة الغضب ، فيقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ويتردى فى حمأة الطلاق ، هذا المباح البغيض إلى الله . عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه طلق امرأته وهى حائض على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأل عمر ابن الخطاب رسول الله عن ذلك ، فقال رسول الله : « مره ، فليراجعها ، ثم ليمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ، ثم تطهر ، ثم إن شاء أمسك بعد ، وإن شاء طلق قبل أن يمس ؛ فتلك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء (أخرجه البخارى) .



(الحديث) فى التشريع

التشريع : هو مجموعة القواعد والنظم والأحكام والأوامر والنواهى والإرشادات والتكاليف .

والتشريع ضرورة من ضرورات المجتمع ، لابد منها ؛ لإحقاق الحق ، وإبطال الباطل ونشر العدالة ، وإشاعة الترابط ، والتراحم ، والسلوك الحسن.

والتشريع نوعان : تشريع سماوى ، وتشريع وضعى . فالأول ـ ويسمى الشريعة أيضا ـ من عند الله سبحانه وتعالى ـ يشرعه للخلق ، ويهديهم به إلى خيرى الدنيا والآخرة . والثانى ـ ويسمى القانون أيضا ـ يكون من صاحب السلطة فى الجماعة ، يجعل لهم فيه قانونا يحتكمون إليه ، بهدف إقرار نظامه ونظام الجماعة فى هذه الحياة الدنيا .

مصدرا التشريع الإسلامى : وللتشريع الإسلامى مصدران أساسيان ، هما القرآن الكريم ، وحديث الرسول الشريف ـ صلى الله عليه وسلم .

القرآن الكريم : والقرآن هو ذلك الكتاب المبين ، الذى أنزله الله سبحانه وتعالى ـ على رسوله محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوساطة الوحى ، منجما ، باللفظ العربى الفصيح ، والمنقول إلينا عن طريق التواتر ، والمتعبد بتلاوته ، والمعجز فى ذاته ، والمتحدى بأقصر سورة منه .

حديث الرسول : والحديث ماذكرناه قبلا أنه قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفعله وتقريره . وما كان الرسول ليصدر فى قوله أو فعله أو تقريره عن الهوى . وفى كثير من آيات الذكر الحكيم مايشير إلى أن حديث الرسول مصدر للشريعة وينبوع من ينابيعها ، وأن العمل به واجب كالعمل بالقرآن ومن تلك الآيات البينات قوله تعالى :

« قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم . والله غفور رحيم » قل : أطيعوا الله والرسول ، فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين » (آل عمران ٣١ و ٣٢) .

« يأيها الذين آمنوا ؛ أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم. فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا » (النساء ٥٩) .

« وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله . ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » فلا - وربك - لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما» (النساء ٦٤ و ٦٥) .

« من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً » (النساء ٨٠) .

« إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق، لتحكم بين الناس بما أراك الله» (النساء ١٠٥)

« ومن يشاقق الرسول - من بعد ماتبين له الهدى - ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ، ونصله جهنم ، وساءت مصيرا » (النساء ١١٥) .

« ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » (النور ٥٢)

« قل : أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول . فإن تولوا فإنما عليه ماحمل وعليكم ماحملتم ، وإن تطيعوه تهتدوا » (النور ٥٤) .

« لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا . قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ؛ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (النور ٦٣) .

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (الأحزاب ٢١) .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (الأحزاب ٣٦) .

« يأيها النبي ، إنا أرسلناك شاهدا ، ومبشرا ، ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه ، وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » (الأحزاب ٤٥ — ٤٧) .

« والنجم إذا هوى * ماضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى » (النجم ١ — ٤) .

« وما آتاكم الرسول فخذوه ، ومانهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله شديد العقاب » (الحشر ٧) .

ويأتى الحديث فى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم ، وارجع إلى الحديث الذى رواه معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه [١] ـ تعلم أن المرجع الأول للشرع هو القرآن ، وأن الحديث هو المرجع الثانى ، فإن لم يجد المسلم فى القرآن وفى الحديث سند عمله كان له أن يجتهد إن كان أهلا للاجتهاد أو يقلد مجتهدا إن لم يكن لذلك أهلا . ويروى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كتب إلى قاضيه شريح : (انظر ما تبين لك فى كتاب الله فلا تسأل عنه أحدا ، ومالم يتبين لك فى كتاب الله فاتبع فيه سنة الرسول) . وهكذا كان يفعل الصحابة ؛ إذا عرض لهم أمر طلبوا حكمه فى كتاب الله : أولا ، فإن لم يجدوه فيه طلبوه فى حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن لم يجدوه اجتهدوا .

(١) ص ٦ من هذا الكتاب

علاقة الحديث بالقرآن :

قال ـ تعالى ـ : «كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ، يتلو عليكم آياتنا ، ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة» (البقرة ١٥١).وقيل : المراد بالكتاب القرآن، وبالحكمة حديث الرسول .

وأيا كان الأمر فإن الحكمة تقف من الكتاب أو الحديث يقف من القرآن موقف التبيين والتوضيح والتفسير ، ونلخصه فيما يأتى .

١ ـــ أحيانا يأتى الحديث مؤكدا للحكم القرآنى وموافقاً له ، مثل ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لايحل مال امرىء مسلم إلا بطيب من نفسه» ، فهو موافق لقوله ـ تعالى ـ «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» (البقرة ١٨٨).

٢ ـــ وأحيانا يبين الحديث ما أجمله القرآن ويفصله ، مثل ذلك أحاديث الصلاة ، التى بينت مواقيتها ، وكيفيتها ، وهيئتها ، وعدد ركعاتها ، وما فيها من قراءات وأدعية ، بيانا وتفصيلا لقوله ـ تعالى ـ : «وأقيموا الصلاة»[١].

٣ ـــ وأحيانا يفسر الحديث ما احتاج من القرآن إلى تفسير وإيضاح، مثل ذلك ما روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر الخيط الأبيض والخيط الأسود فى قوله ـ تعالى : «وكلوا واشربوا ؛ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» (البقرة ١٨٧) بأنه بياض النهار وسواد الليل.

٤ ـــ وأحيانا يخصص الحديث ما جاء بالقرآن عاما . ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ : «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» (الأنعام ٨٢) ، فمن الصحابة من فهموا أن الظلم هنا عام وقالوا كالمحاسبين لأنفسهم الساخطين عليها : (أينا لم يظلم) وخشوا أن يشاب إيمانهم بظلمهم

(١) ذكرت إقامة الصلاة فى القرآن أكثر من أربعين مرة .

فلا ينالوا رحمة الله . . . قال الرسول لهم : « ليس بذاك . إنما هو الشرك » .

٥ — وأحيانا يقيد الحديث ماجاء بالقرآن مطلقاً . ومن ذلك تقييد الوصية الواردة فى آيتى المواريث الحادية عشرة والثانية عشرة من سورة النساء بقوله - صلى الله عليه وسلم : « لاوصية لوارث » .

٦ — وأحيانا يعطى الحديث تشريعا سكت عنه القرآن ، كالأحاديث الواردة فى شأن زكاة الفطر : على من تجب - ومقدارها - ووقت إخراجها. روى عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : « فرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زكاة الفطر صاعا من تمر ، أوصاعا من شعير ، على العبد والحر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير ؛ من المسلمين ، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة » (أخرجه الشيخان) .

وجوب العمل بالحديث :

يحلو لأناس ضلوا أن يقولوا : يكفينا القرآن ، نعمل بأحكامه، ولاحاجة بنا إلى حديث الرسول .

ولمثل هؤلاء نسوق هذه الآيات الكريمة :

قال - تعالى - : « يأيها الذين آمنوا ، أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » (النساء ٥٩) والرد إلى الله هو الرجوع إلى كتاب الله ، والرد إلى الرسول هو الرجوع إليه صلى الله عليه وسلم فى حياته ، وإلى حديثه بعد وفاته .

وقال - تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (النساء ٨٠) - جعل الله طاعة رسوله من طاعته هو - سبحانه .

وقال ـ تعالى ـ : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه . إن الذين يستئذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله ، إن الله غفور رحيم * لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً . قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أويصيبهم عذاب أليم » (النور ٦٢و٦٣) فهذا الوعيد بالفتنة ـ أي بالمحنة في الدنيا ، وبالعذاب الأليم في الآخرة ـ دليل على أن مخالفة الرسول عن أمره وعدم طاعته معصية ، ويلزم من ذلك وجوب طاعته واتباع أمره ، وإلا ماتوعد الله على مخالفته بالنار .

وقال ـ تعالى ـ : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، ومانهاكم عنه فانتهوا » (الحشر ٧) فجعل الله مايأمر به الرسول واجبا أخذه واتباعه ، وماينهى عنه الرسول واجباً أن ينتهى عنه .

ولمثل هؤلاء نسوق هذا الحديث الشريف: روى أبو رافع ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لاألفين أحدكم متكئا على أريكته ، يأتيه الأمر من بعدى ، مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : ماأدرى. ماوجدنا فى كتاب الله اتبعناه » (أخرجه الحاكم فى المستدرك) . وفى رواية عن المقداد بن معد يكرب ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته ، يحدث بحديثى ، فيقول : بينى وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وماوجدنا فيه حراماً حرمناه . وإن ماحرم رسول الله كما حرمه الله » (أخرجه الترمذى وأبو داود) .

اتضح ـ إذن ـ أن الحديث الشريف هو المصدر الثانى للشريعة الغراء بعد القرآن الكريم ، وأن العمل بالحديث واجب وجوب العمل بالقرآن

لأن فى العمل بالحديث طاعة لله ولرسوله ، وفى تركه والمخالفة عنه معصية . وهذا هو ماأجمع عليه المسلمون ، وجرى عليه العمل فى عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعده إلى اليوم ، وإلى أن تقوم الساعة ، ويرث الله الأرض وما عليها .

أحاديث الدين وأحاديث الدنيا :

وهذا مسلم بالنسبة إلى جملة الأحاديث التى تتضمن أحكاما شرعية ، وإلى الحديث من هذه الأحاديث الذى صحت نسبته إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على سبيل القطع .

أما الأحاديث التى لاتتضمن أحكاما شرعية والتى يكون قول الرسول فيها أو فعله أو تقريره صادراً عن طبيعته البشرية فيما يختص بمسائل المأكل والمشرب والملبس والحرفة وما إلى ذلك من الظروف والملابسات البشرية فإنها ـ مالم تتضمن حكما شرعياً صريحا ـ صدرت عن الرسول بحكم العادة والإلف والحاجة الموقوتة . ومن ذلك ماروى عن خالد بن الوليد « أنه دخل مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ميمونة ـ وهى خالته (أى خالة خالد) فوجد عندها ضبا محنوذاً ، قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد ، فقدمت الضب لرسول الله ، وكان قلما يقدم يده لطعام حتى يحدث به ويسمى له ، فأهوى رسول الله يده إلى الضب ، فقالت امرأة من النسوة الحضور : أخبرن رسول الله ماقدمتن له . . هو الضب يارسول الله ، فرفع رسول الله يده عن الضب. فقال خالد بن الوليد : أحرام الضب يارسول الله ؟ قال: لا ، ولكن لم يكن بأرض قومى ، فأجدنى أعافه . قال خالد : فاجتررته ، فأكلته ، ورسول الله ينظر إلى » (أخرجه البخارى) .وكذلك مارواه رافع بن خديج ـ رضى الله عنه قال : « قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، وهم يأبرون النخل ، فقال : ماتصنعون؟ قالوا : كنا نصنعه فقال : لعلكم لولم

تفعلوا كان خيراً، فتركوه. فنفضت، فذكروا له ذلك، فقال: إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر»[1] (أخرجه مسلم). وروى عن أنس – رضى الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مر بقوم يلقحون، فقال: لولم تفعلوا لصلح. قال: فخرج شيصا، فمر بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا. قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم، (أخرجه مسلم) وروى عن طلحة – رضى الله عنه – مثل هذا وأن الرسول قال لهم: «إنما ظننت ظنا، فلا تؤاخذوني بالظن. ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله» (سيرة ابن هشام ٢٧٢/٢ ط الحلبي – ١٩٣٩).

ومدلول هذه الروايات أن ما يحدث به النبي – صلى الله عليه وسلم – عن ربه فذلك هو الدين الذي يجب اتباعه طاعة لله. أما ما يصدر عنه – صلى الله عليه وسلم – فيما يتعلق بأمور الدنيا فإنما هو رأي ارتآه، وظن دفعه إليه حدسه وملاحظته واستنتاجه. فهو كسائر البشر يصيب وقد لا يصيب، وقد يكون غيره فيه أكثر تجربة وخبرة، فيكون في رأيه أقرب إصابة[2].

ونحو من ذلك ما روى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – «أن زوج بريرة كان عبدا، يقال له: مغيث. كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لحيته. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لعباس: ياعباس؛ ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لو راجعته! قالت: يارسول الله؛ تأمرني؟. قال: إنما أنا أشفع. قالت: فلا حاجة لي فيه» (أخرجه البخاري).

---

(١) يأبرون النخل: يلقحونها ويصلحونها نفضت: سقطت ثمارها.
(٢) أنظر بحث الشيخ على الخفيف السابق.

وكانت بريرة أمة وهى فى عصمة زوجها مغيث ، فلما أعتقت كان لها الخيار فى إبقاء الزوجية وإنهائها . فلما كلمها رسول الله لترجع إلى زوجها قدرت أن قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لها : (لو راجعته) يحتمل الأمر ويحتمل غيره ، فسألته . وكان الرسول صريحا فقال لها : إنه يشفع فقط . حينئذ أعطت نفسها الحرية فى قبول الشفاعة ؛ إذ لو كان قول الرسول أمرا لم يكن لها أن تخالف عنه ؛ لأنه يكون حينئذ حكما شرعيا واجب الطاعة .



الحديث القدسى والحديث النبوى

الحديث القدسى :

الحديث القدسى هو الحديث المسند إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيما يرويه عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

الحديث النبوى :

والحديث النبوى هو الحديث المسند إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إسنادا مباشرا .

الفرق بين القرآن والحديث القدسى والحديث النبوى :

وفى الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسى والحديث النبوى آراء، أشهرها رأيان :

رأى بأن القرآن والحديث القدسى كليهما من عند الله ـ جل شأنه ـ باللفظ والمعنى . والفرق بينهما أن القرآن معجز ونقل إلينا بالتواتر وأمرنا أن نتعبد بتلاوته فى الصلاة ولذلك نتقيد بلفظه كما أنزل. أما الحديث القدسى فليس معجزا ولم ينقل إلينا بالتواتر ولم نؤمر بأن نتعبد بتلاوته فى الصلاة ؛ ولذلك يجوز ـ على رأى ـ أن نرويه بالمعنى ولا نتقيد بلفظه .

والحديث النبوى عند أصحاب هذا الرأى ألهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ معناه ، أو أوحى إليه به ، وصاغه الرسول بلفظ من عنده .

والرأى الآخر ـ وإليه أميل ـ أن القرآن لفظه ومعناه من عند الله عن طريق الوحى الجلى . والحديث القدسى معناه من عند الله بإلهام ولفظه من عند الرسول ـ صلى الله عليه وسلم . والحديث النبوى لفظه ومعناه من عند الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .

أمثلة من الحديث القدسي :

وليس من شك في أن إسناد الحديث القدسي إلى الله - سبحانه وتعالى - يزيد في الاهتمام بما يضمنه من أحكام وتكاليف وآداب .

ومن أمثلته مارواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يقول الله - عز وجل - : أنا عند ظن عبدي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » (أخرجه البخاري).والفكرة في هذا الحديث أن صلة الله بعبده صلة مباشرة،وبمقدار حرص العبد على قيام هذه الصلة ودوامها ورعايته إياها يسبغ الله عليه من رحمته وهدايته وحياطته وثوابه . والمقصود من ذكر العندية والمعية والتقرب والهرولة في جانب الله ليس حقيقتها ، وإنما المقصود التمثيل ؛ فمن يتقرب إلى الله بقليل من الطاعة يجزيه الله عنه كثيرا من الثواب ، وكلما زاد العبد في طاعة الله زاده الله في ثوابه عن هذه الطاعة ، وإن جاءت طاعة العبد على الأناة فإن رحمة الله تأتيه على السرعة . والله أعلم .

ومن أمثلة الحديث القدسي مارواه أبوذر الغفاري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه - عز وجل - أنه قال : « ياعبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا . ياعبادي ، كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم . ياعبادي ؛ كلكم جائع إلا من أطعمته ؛ فاستطعموني أطعمكم . ياعبادي ؛ كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم . ياعبادي ؛ إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا . فاستغفروني أغفر لكم . ياعبادي ؛ إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . ياعبادي ؛ لو أن أولكم

وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا ، ياعبادى ؛ لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيئا . ياعبادى ؛ لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد ، فسألونى ، فأعطيت كل واحد مسألته ؛ مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . ياعبادى ؛ إنما هى أعمالكم ، أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، (أخرجه مسلم) .

وواضح أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ينهى الناس عن الظلم ، ويحث العباد على الالتجاء إليه والاستعانة به والاستغفار له ، فإنهم الفقراء إليه وهو الغنى الحميد ، ذو الفضل الواسع ، الذى يسع الناس جميعا والجن جميعا ، من يوم خلقهم إلى أن تقوم الساعة،وتكفل بأرزاقهم وأقدارهم . وإن طاعتهم لاتنفعه ، ومعصيتهم لاتضره ، فإن وجدوا خيرا فليحمدوه على توفيقه إياهم لطاعته ، وإن وجدوا شرا فلا يلومن إلا أنفسهم ، حيث أعطوها مناها . واتبعوا أهواءها .



جوامع الكلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - المثل الأعلى فى الفصاحة والبلاغة، أدبه ربه فأحسن تأديبه، وأمده بوحى من عنده، وألهمه السداد والرشاد، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وأتم عليه نعمته، فجاء حديثه - صلى الله عليه وسلم - نورا يهدى إلى سواء السبيل، ونبراسا يضىء طريق النجاة، وهديا يحرر العقول، ويقيم الشريعة، وبيانا ينطق بالحق وبالحجة.

وجوامع الكلم فى أحاديثه - صلى الله عليه وسلم - أقوال وجيزة، ألفاظها قليلة، ولكنها حافلة بالمعانى، هادفة إلى المراد منها من أقرب السبل. وقد تقوم على القول الحكيم، أو التشبيه البليغ، أو الاستعارة البارعة، أو المثل الرائع؛ كلمات جوامع، تسحر الأفهام، وتملك المشاعر، وتأخذ بمجامع القلوب. ومن أمثلتها.

- إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة.

- إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه. يسروا، ولا تعسروا، وبشروا، وسكنوا، ولا تنفروا.

- إن الله كره ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال.

- إن شر الناس منزلة يوم القيامة هو من تركه الناس؛ اتقاء فحشه.

- الراحمون يرحمهم الرحمان؛ ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء.

- ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عنه سنه.

- ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا.

- المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا .
- المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه .
- لايلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين .
- لايدخل الجنة نمام .
- نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة ، والفراغ .
- ليس الشديد بالصرعة ؛ إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب .
- لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه .
- الحياء من الإيمان .
- الحياء لايأتى إلا بخير .
- رحم الله رجلا سمحا ؛ إذا باع ، واذا اشترى ، واذا اقتضى .
- كل ، واشرب ، وتصدق ؛ فى غير سرف ، ولا مخيلة .
- انكم لاتسعون الناس بأموالكم ، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق .
- ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس .
- تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولجمالها ، ولحسبها ، ولدينها . فاظفر بذات الدين ؛ تربت يداك .
- ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه .
- لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ،والمتشبهين من الرجال بالنساء.
- أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك .

- إذا تركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لاينزعه حتى تعودوا الى دينكم .

- طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

- الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة .

- اتقوا الظلم ؛ فإنه ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم .

- التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء .

- المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

- الجنة تحت ظلال السيوف .



رواية الحديث

حفظ الحديث وتبليغه :

قال زيد بن ثابت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « نضر الله امرأ ، سمع منا حديثاً ، فحفظه ، حتى يبلغه غيره ؛ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » (أخرجه الترمذى وروى غيره نحوه من روايات مختلفة) . وقال رافع بن خديج ـ رضى الله عنه ـ « خرج علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : تحدثوا . وليتبوأ من كذب على مقعده من جهنم » (أخرجه الطبرانى فى الكبير) . وروى عن أبى هارون العبدرى : كنا نأتى أباسعيد ، فيقول : مرحبا بوصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنه قال : « إن الناس لكم تبع ، وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون فى الدين ، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا » (أخرجه الترمذى وابن ماجه) .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : « كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد ـ وهى من عوالى المدينة ـ وكنا نتناوب النزول على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينزل يوما ، وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك » (أخرجه البخارى) وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ « خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم النحر ، فكان مما قال : اللهم ؛ هل بلغت ، هل بلغت . قال ابن عباس : فو الذى نفسى بيده ؛ إنها لوصيته إلى أمته ، فليبلغ الشاهد الغائب . لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » (أخرجه البخارى) ، وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « لما قبض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلت لرجل من الأنصار : هلم ، فلنسأل أصحاب رسول الله

فإنهم اليوم كثير . فقال : واعجبا لك يابن عباس ! . أترى الناس يفتقرون إليك وفى الناس من أصحاب رسول الله من فيهم! قال : فتركت ذاك . وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ، وإنه كان يبلغنى الحديث عن الرجل ، فآتى بابه وهو قائل ، فأتوسد ردائى على بابه يسفى الريح على من التراب ، فيخرج ، فيرانى ، فيقول : يابن عم رسول الله ؛ ماجاء بك ؟ هلا أرسلت إلىّ فآتيك . فأقول: لا . أنا أحق أن آتيك . قال : فأسأله عن الحديث . فعاش هذا الرجل الأنصارى ، حتى رآنى وقد اجتمع الناس حولى يسألوننى ، فيقول : هذا الفتى كان أعقل منى » (أخرجه الدارمى والحاكم فى المستدرك) . وفى صحيح البخارى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لوفد عبد القيس: «احفظوه وأخبروه من وراءكم» ، وفى رواية : « ارجعوا إلى أهلكم، فعلموهم » .

وهذه ـ كما ترى ـ أحاديث صريحة وواضحة فى الدعوة إلى رواية الحديث، ووعيه ، وحفظه ، والحرص عن نقله ، وأخذه من فم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وممن أخذه عنه من الصحابة ـ رضوان الله عليهم . وقد قام الصحابة بالتبليغ عن الرسول ، وحمل الحديث ، ونقله إلى غيرهم من الصحابة الذين لم يسمعوا من الرسول مباشرة ومن التابعين ؛ لأنهم يعلمون أنهم مأمورون بتبليغ الحديث ، ويعلمون أنه هو المصدر الثانى للشريعة بعد القرآن الكريم ، وأن المسلمين بحاجة إلى أن يعرفوا أمور دينهم . ومن القرآن ومن الحديث يتسنى لهم أن يعرفوا أمور دينهم ؛ لأن الحديث ـ كما سبق أن شرحنا ـ مبين وموضح ومفسر ومفصل للقرآن ، أو بيان لما أجمله ، أو مقيد لما أطلقه ، أو مخصص لما جاء به عاماً ، أو مصدر أساسى للتشريع فيما سكت عنه القرآن الكريم . وقد مر بك حديث معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ الذى أقره فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صنيعه فى القضاء ، فهو أولا يرجع إلى القرآن يلتمس فيه الرأى والحكم ، ثم ثانيا يلجأ إلى السنة ، ثم ثالثا ـ إن لم يجد فى القرآن والسنة مايسعفه ـ يجتهد ويعمل رأيه .

كتابة الحديث أيام الرسول :

هل كتب الحديث أيام الرسول ؟ الأظهر أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - نهى أول الأمر عن كتابة الحديث . فقد روى أبو سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : « لا تكتبوا عنى . ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه . وحدثوا عنى ولا حرج . ومن كذب على فليتبوأ مقعده من النار » (أخرجه مسلم) ، ثم بعد ذلك أذن الرسول بكتابة الحديث ، فقد روى عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - أنه قال : « كنت أكتب كل شىء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنهتنى قريش ، وقالوا : تكتب كل شىء ورسول الله بشر يتكلم فى الرضا والغضب ؟ ، فأمسكت عن الكتابة ، حتى ذكرت ذلك لرسول الله فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال : اكتب . فوالذى نفسى بيده ؛ مايخرج منه إلا حق » (أخرجه أبو داود وروى أحمد والحاكم والطبرانى مثله) . وروى قيس بن عباد قال : « انطلقت أنا والأشتر إلى على فقلنا : هل عهد إليك نبى الله شيئاً لم يعهده إلى الناس عامة ؟ قال : لا . إلا ما كان فى كتابى هذا . وأخرج شيئا من قراب سيفه ، فإذا فيه المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم . ألا ، لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو العهد بعهده ، من أحدث حدثا فعلى نفسه ، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منى ؛ إلا ما كان من عبد الله بن عمر ، فإنه كان يكتب بيده ويعيه بقلبه ، وكنت أعيه بقلبى ولا أكتب بيدى ، واستأذن رسول الله فى الكتابة ، فأذن له » (أخرجه البيهقى فى المدخل) . وعن رافع بن خديج - رضى الله عنه - قال : « خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : تحدثوا ، وليتبوأ من كذب على مقعده من جهنم ! . قلت : يارسول الله ، إنا نسمع منك أشياء فنكتبها . قال : اكتبوا ، ولا حرج » (أخرجه الطبرانى فى الكبير) . وفى

الصحيحين أن أباشاه اليمنى التمس من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يكتب له شيئاً سمعه من خطبته عام الفتح فقال النبي لأصحابه : « اكتبوا لأبي شاه » .
وعن أبي هريرة قال : « كان رجل من الأنصار يجلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيسمع منه الحديث ، فيعجبه ، ولا يحفظه ، فشكا ذلك إلى رسول الله ، فقال : استعن بيمينك . وأومأ بيده إلى الخط » .

لقد كان النهى عن كتابة الحديث سابقاً الإذن بهذه الكتابة فى وقت كان الناس فيه قريبى عهد بالإسلام . والمسلمون لم يكثروا إلا بعد الهجرة بمدة ، بل كانت المدينة مجتمعاً يضم المسلمين ومن لم يسلم والمنافقين واليهود ؛ فسبق النهى حتى يتفرغ المسلمون لحفظ القرآن ويكثر قراؤه . فإذا انتشر حفظه اشتغلوا بالسنة والفقه ، فقد روعى إذن مقتضى تحصيل العلم وتقديم الأهم على المهم ، فإذا تمكن المسلمون من كتاب الله - تعالى - وهو الأصل تعلموا بعده الحديث الذى يبينه[1] ، ومما يؤيد القول بأن النهى عن كتابة الحديث سابق الإذن ، وأن الإذن بكتابة الحديث جاء متأخراً : أن أباهريرة أسلم فى السنة السابعة للهجرة ، وأن التماس أبى شاه أن يكتب له كان فى فتح مكة أى فى السنة الثامنة للهجرة .

صحائف الصحابة والتابعين :

وقد ثبت أن عدداً من الصحابة والتابعين كانت لديهم صحائف قيدوا فيها الحديث ، كصحيفة على بن أبى طالب ، وصحيفة عبد الله بن عمر ، اللتين

---

(١) انظر للشيخ محمد الحافظ التجانى كتابه : سنة الرسول - ص ٢٣ ومابعدها من سلسلة البحوث الاسلامية لمجمع البحوث الاسلامية - رمضان ١٣٨٩ هـ ، نوفمبر ١٩٦٩ م

أوردنا ذكرهما ، وكصحيفة جابر بن عبـــد الله(١) ، وصحيفة سمرة بن جندب(٢) ، وصحيفة أبى قلابة (٣) وصحيفة بشير بن نهيك الذى يقول : «كنت أكتب ما أسمع من أبى هريرة ، فلما أردت أن أفارقه أتيته بكتابه ، فقرأته عليه ، وقلت له : هذا سمعت منك ؟ قال : نعم » (أخرجه الدارمى) .

وثبت أن كثيراً من كتبة الصحابة كانوا يعتزون بكتبهم ، فهذا عبد الله ابن عمرو يقول : « ما يرغبنى فى الحياة إلا الصادقة والوهط ؛ فأما الصادقة فصحيفة كتبتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها » (أخرجه الدارمى). ومنهم من كان يحرص على ألا يطلع على ما كتبه إلا أهل العلم ، فنى الطبقات لابن سعد أن أباقلابة أوصى بأن يدفعوا كتبه إلى أيوب إن كان حيا ، وإلا فعليهم أن يحرقوها ؛ خشية أن يتولاها غير أهلها . وهذا أبو هريرة - رضى الله عنه - يقر فيما سبق ذكره بأن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أعلم منه ، بسبب أنه امتاز منه بكتابة الحديث وتقييده .

أشهر الرواة :

روى الحديث كثير من الصحابة والتابعين (٤) . من أشهرهم :

١ — أبو هريرة : وهو أكثر الصحابة رواية ، فقد روى (٥٠٧٤)

---

(١) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/٤٤٢

(٢) المرجع ٤/٢٣٦

(٣) الطبقات لابن سعد ٧/١٨٥

(٤) الصحابى كل من لقى رسول الله ولو لحظة، وآمن به ومات على الإسلام ، والتابعى من لقى أحد الصحابة ، واشترط بعض العلماء أن تطول صحبة الصحابى للرسول ويتصل لقاؤه به ، كما اشترط أن تطول صحبة التابعى للصحابى .

حديث . واسمه على الأشهر عبد الرحمن بن صخر ، وكناه الرسول بكنيته هذه لهرة كان يحملها أينما ذهب . أسلم فى العام السابع من الهجرة ، فلازم النبى ، وتوفى سنة ٥٧ ﻫ عن ٧٧ سنة .

٢ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب : روى (٢٦٣٠) حديث . كان إماما متدينا مسموع الكلمة مهيبا . أقام بعد وفاة الرسول يروى الحديث ويفتى ، حتى توفى سنة ٧٣ ﻫ عن ٨٧ سنة .

٣ ـ السيدة عائشة : أم المؤمنين . روت عن الرسول (٢٢١٠) حديث ، ونزل الوحى عليه وهو فى مسكنها عدة مرات . عاشرت الرسول وسمعت من قوله ورأت من فعله ما لم يتسن لغيرها من النساء والرجال على السواء . كان الصحابة فى حياة الرسول وبعد وفاته يرجعون إليها . ويأخذون برأيها . توفيت سنة ٥٨ ﻫ عن ٦٦ سنة .

٤ ـ عبد الله بن عباس : ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد قبل الهجرة بسنوات ، كان فقيها وعالما بالشعر وبالعربية وبتاريخ العرب وأيامهم ، متضلعا فى الفرائض أى المواريث وفى تفسير القرآن الكريم . تولى البصرة أيام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فلم تشغله الولاية عن عن الجلوس إلى الناس لتفسير القرآن . روى (٦٦٠) حديث ، وتوفى سنة ٥٨ ﻫ .

٥ ـ جابر بن عبدالله : أنصارى من بنى سلمة ، شهد العقبة قبل الهجرة ، وشهد غزوات الرسول بعد غزوة أحد ، وبعد وفاة الرسول كان يعقد حلقة علمية فى المسجد النبوى . روى عن الرسول (١٥٤٠) حديث ، وتوفى سنة ٧٨ ﻫ عن ٩٤ سنة .

٦ ـ أنس بن مالك : أنصارى من بنى النجار . كان فى سن العاشرة حين

هاجر الرسول إلى المدينة ، وحين دفع به أهله إلى خدمة الرسول وملازمته. يقول أنس : خدمت رسول الله عشر سنين ، فما قال لى لشىء فعلته ، لم فعلته ؟ ، ولا لشىء تركته : لم تركته بل كان يقول . ماشاء الله كان : ومالم يشأ لم يكن . روى عن الرسول (١٢٨٦) حديث ، توفى سنة ٩٣ ﻫ عن ١٢٠ ولد من أبنائه وأحفاده .

٧ — أبو سعيد الخدرى : أنصارى من بنى خدرة . روى عن الرسول (١١٧٠) حديث ، كان فقيها فاضلا ، شهد غزوة الخندق وما بعدها ، وبايع الرسول هو وجماعة منهم أبوذر وعبادة بن الصامت على ألا تأخذهم فى الله لومة لائم . توفى سنة ٧٤ ﻫ .

٨ — عبد الله بن مسعود : أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، لازم الرسول منذ إسلامه ، وكان يخدمه ، هاجر الهجرتين ، وشهد الغزوات كلها، وهو ممن شهد الرسول لهم بالجنة كما أثنى على تلاوته للقرآن ، روى عن الرسول (٨٠٠) حديث ، وبعث به عمر بن الخطاب إلى الكوفة ليعلم أهلها القرآن والدين . توفى سنة ٣٢ ﻫ .

٩ — عبد الله بن عمرو بن العاص . أسلم قبل أبيه، روى (٧٠٠) حديث ، وكان عالما بالقرآن وبالكتب المتقدمة ، صواما ، قواما ، كثير التلاوة لكتاب الله ، جواداً ، عطوفا على طلبة العلم ، توفى سنة ٦٥ ﻫ فى مصر .

١٠ — أبوموسى الأشعرى : اسمه عبد الله بن قيس من بنى سليم . قدم على الرسول فى مكة فأسلم وعاد إلى قومه ، ثم قدم عليه بالمدينة بعد فتح خيبر فى السنة السابعة للهجرة ، استعمله الرسول على زبيد وعدن، وعمر بن الخطاب على الكوفة والبصرة ، فكان يقضى بين الناس ويعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين . روى (٣٦٠) حديث ، وتوفى سنة ٣٢ ﻫ فى مكة عن ٦٣ سنة .

١١ — أبو ذر الغفارى . اسمه جندب بن جنادة من بنى كنانة ، سبق إلى الإسلام ، ثم رجع إلى أهله حتى هاجر الرسول إلى المدينة فوافاه أبو ذر بها ، وصحبه ، إلى أن توفى الرسول ، روى (٢٨١) حديث ، وتوفى سنة ٣٢ هـ.

١٢ — معاذ بن جبل . أنصارى من بنى الخزرج . كان من أفضل شبان المدينة علماً وحياء وسخاء وشهامة ، شهد المشاهد كلها مع الرسول ، وأرسله الرسول إلى اليمن أميراً وقاضياً ، روى (٢٥٧) حديث ، وتوفى سنة ١٧ هـ .

١٣ — سعد بن أبى وقاص . كان من السابقين إلى الإسلام شاباً فى السابعة عشرة ، روى عن الرسول (٢١٥) حديث ، شهد غزوات الرسول كلها ، وكان قائد جيش المسلمين لقتال الفرس ، فهزمهم فى القادسية وجلولاء ، وفتح المدائن ، وبنى الكوفة ، دعا له الرسول بإجابة الدعوة فكان لايدعو إلا استجيب له . توفى سنة ٥٥ هـ .

١٤ — أبو الدرداء . اسمه عويمر بن زيد ، وهو أنصارى من بنى الخزرج أسلم بعد الهجرة ، كان من حفظة القرآن الكريم ، وهو واحد من أربعة كانوا يجمعونه فى عهد الرسول ، والثلاثة الآخرون هم معاذ بن جبل وزيد ابن ثابت وأبو زيد الأنصارى ، تولى الإفتاء لأهل الشام ، روى (١٧٩) حديث ، وتوفى سنة ٣٢ هـ .

١٥ — عقبة بن عامر الجهنى . كان عالما قارئاً ، وشاعراً فصيحا ، وخبيراً بالمواريث ، تولى أيام معاوية أمر الخراج والصلاة فى مصر ، وتوفى بها سنة ٦٠ هـ ودفن فى سفح المقطم . روى (٥٥) حديثا .

١٦ — سعيد بن المسيب . كان فقهاء التابعين بالمدينة ، وأعلمهم بكل قضاء قضاه رسول الله، وأبو بكر ، وعمر . روى الحديث عن كثير من الصحابة وتوفى سنة ٩٤ هـ عن ٧٩ سنة .

١٧ — نافع : كان مولى لعبد الله بن عمر أصابه فى بعض المغازى. وروى عنه وعن غيره من أئمة التابعين بالمدينة ، يعتبره البخارى وغيره ثقة ، تولى تعليم الحديث بمصر زمن عمر بن عبد العزيز . توفى سنة ١١٩ هـ .

١٨ — الحسن البصرى : وهو الحسن بن يسار . كان فقيها فصيحا. روى عن كثير من الصحابة والتابعين . تولى قضاء البصرة زمن عمر بن عبد العزيز ثم استعفى وفرغ للنسك والعبادة . توفى سنه ١١٠ هـ .

١٩ — محمد بن سيرين : كان مولى لأنس بن مالك وكاتبه، فروى الحديث عنه وعن غيره من الصحابة وكبار التابعين ، وصار فقيها ورعا وإماما كثير العلم . اشتهر بتعبير الرؤيا ، وتولى الإمامة بالبصرة ، توفى سنة ١١٠ هـ عن ٧٧ سنة .

٢٠ — محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى : كان راوية ، حافظا ، منهوما فى طلب العلم ، فاجتمع له حديث كثير ، وفقه غزير . ومن أجل هذا أجله الخلفاء وقدموه . توفى سنة ١٢٤ هـ عن ٧٣ سنة .



تدوين الحديث

بداية التدوين :

عرفت ما كان من أمر كتابة الحديث فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن هذا العمل كان عملا فرديا ومتفرقا ، وقد استمر هذا الأمر كذلك إلى عهد عمر بن عبد العزيز فى نهاية القرن الأول الهجرى (١) .

ولقد هم عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يجمع الأحاديث ، ويدونها ، واستشار الصحابة فى ذلك ، فأشاروا عليه بكتابتها ، وطفق يستخير الله فى ذلك مدة ، ولكنه فى النهاية عدل عنه ـ كما روى البيهقى فى المدخل ـ بحجة أنه خشى أن ينصرف الناس إليها ويتركوا كتاب الله .

وبعد اتساع الفتح الإسلامى تفرق رواة الحديث وحفاظه فى الأقطار والأمصار ، وخشى عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ أن يضيع من الحديث شىء ، أو يلتبس بغيره مما لم يصدر عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكتب إلى الولاة والفقهاء والعلماء فى الآفاق المختلفة ، يندبهم إلى جمع الحديث وكتابته ، ومن هؤلاء : محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، وأبو بكر ابن حزم الذى كان واليه وقاضيه على المدينة ، ومن ذاك الحين نشطت حركة التدوين .

---

(١) تولى عمر بن عبد العزيز من سنة ٩٩ هـ إلى سنة ١٠١ هـ .

المجاميع :

تجرد كثير من الأئمة لتدوين الحديث،فسهروا ، وارتحلوا فى سبيل جمع الحديث ، والتحرى عنه ، والتثبت منه ، ولقوا الحفاظ والرواة من الصحابة ومن التابعين ، وأسفرت جهودهم عن مجاميع فى الحديث ، ذكر التاريخ منها ما جمعه :

- عبد الملك بن جريج الرومى (١٥٠ هـ) بمكة .
- محمد بن إسحاق (١٥١ هـ) ، ومالك بن أنس (١٧٩ هـ) بالمدينة .
- سعيد بن أبى عروبة (١٥٦ هـ) ، والربيع بن صبيح (١٦٠ هـ)وحماد ابن سلمة (١٧٦ هـ) بالبصرة .
- سفيان الثورى (١٦١ هـ) بالكوفة .
- عبد الرحمن الأوزاعى (١٥٦ هـ) بالشام .
- عبد الله بن المبارك (١٨١ هـ) بخراسان .
- هشيم بن بشير (١٨٨ هـ) بواسط .
- جرير بن عبد الحميد (١٨٨ هـ) بالرى .
- معمر بن راشد (١٥٣ هـ) باليمن .
- الليث بن سعد (١٧٥ هـ) بمصر .

ولم يصل إلينا من هذه المجاميع إلا مجموع الإمام مالك بن أنس المسمى (الموطأ) ، ووصف لبعض المجاميع الأخرى ، ويؤخذ من هذا وذاك أن منهج المجاميع قام على جمع الأحاديث خدمة للتشريع،ولهذا جاءت أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - مختلطة بأقوال الصحابة وفتاواهم وأقوال التابعين وفتاواهم ، مجموعة كلها حول موضوعات معينة ؛ كالطهارة ، والصلاة والصيام ، والحج ، والزكاة ... الخ .

المسانيد :

وفى القرن الثالث الهجرى خطا تدوين الحديث خطوة ، إذ خلصه جامعوه من أقوال الصحابة والتابعين وفتاواهم ، وسلكوا فى جمعه طريقة أساسها الاعتماد على الصحابى المروى عنه ، من غير تقيد بوحدة الموضوع ، فجمعوا كل ماروى عن أبى هريرة تحت عنوان (مسند أبى هريرة) وكل ماروى عن ابن عمر تحت عنوان (مسند ابن عمر) وكل ماروى عن أنس ابن مالك تحت عنوان (مسند أنس) . . . وهكذا .

وسلكوا فى ترتيبهم للصحابة مسالك شتى ، فبعض رتب الصحابة على حروف المعجم ، وبعض رتب الصحابة على حسب السبق إلى الإسلام ، فقدم العشرة المبشرين بالجنة (١) ، فأهل بدر ، فالحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ، ثم من أسلم يوم الفتح ، ثم أصاغر الصحابة سنا ، ثم النساء الراويات ، ويمثل هذا اللون مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١ ﻫ) ، وهو مسند ضخم ، يضم أكثر من ثلاثين ألف حديث .

ومن الذين ألفوا المسانيد إسحاق بن راهويه (٢٣٨ ﻫ) ، وعثمان بن شيبة (٢٣٩ ﻫ) ، ويعقوب بن أبى شيبة (٢٦٣ ﻫ) .

وقد اعتمد أصحاب المسانيد على الرواية ، فلم ينخلوها ، ولهذا اشتملت المسانيد على الأحاديث الصحيحة ، وعلى جملة من غير الصحيحة ، مما وضعه ذوو الأهواء وادعوه على الرسول .

---

(١) العشرة المبشرون بالجنة هم : أبو بكر - عمر - عثمان - على - طلحة ابن عبيد الله - الزبير بن العوام - عبد الرحمن بن عوف - سعد بن أبى وقاص - سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل - أبو عبيدة عامر بن الجراح .

الصحاح :

وفى القرن الثالث الهجرى أيضا ظهر اتجاه جديد فى حركة تدوين الحديث ، وهو نخل الأحاديث ، والتنبيه على ماهو صحيح منها ، أو حسن ، أو ضعيف ، وأسفر هذا الاتجاه عن ستة كتب سميت (الصحاح) ، وهى :

صحيح البخارى .	صحيح مسلم .
سنن أبى داود .	سنن الترمذى .
سنن النسائى .	سنن ابن ماجه .

ويعد صحيح البخارى وصحيح مسلم أصح الكتب الستة،وأوفاها أحاديث صحيحة ، وأطلق على صاحبيهما اسم (الشيخين) ، فإذا قيل فى الحديث : أخرجه الشيخان ،أورواه الشيخان ، أومتفق عليه،فالمقصود أن الحديث وارد فى هذين الصحيحين ، وإذا قيل : رواه الأربعة أو أخرجه الأربعةفالمقصود أصحاب السنن ، وإذا قيل : رواه الستة أو أخرجه الستة فهم هؤلاء جميعا .

وبعد هذه الصحاح ظهرت كتب أخرى فى الحديث مختلفة المنهج،ومنها معاجم الطبرانى (٣٦٠ هـ) الثلاثة ، وقد سار فى معجمه الكبير على منهج أصحاب المجاميع مع مراعاة الترتيب الهجائى ، ومن هذه الكتب سنن الدارقطنى (٣٥٩ هـ) وسنن البيهقى (٤٥٨ هـ) .



الرواية المقبولة

راوية الحديث :

بحث علماء الحديث فيمن تقبل روايته ومن لا تقبل منه الرواية ، وما يتصل بذلك من النقد والضبط والعدالة والتجريح ، وأفاضوا فى ذلك إفاضة تتكافأ مع تقديرهم لحديث الرسول الكريم ، واشترطوا شروطا ، نذكر أهمها(١).

١ — أن يكون الرواة معروفين بأعيانهم ، إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .

٢ — أن يكون الراوى عدلا ، والعدل هو المسلم البالغ العاقل ـ ذكراً كان أو أنثى ، حراً أو عبداً ، مبصراً أو كفيفا(٢) ـ المتأدب بآداب الدين ، الذى سلم من أسباب الفسق ، وسلم من الصغائر التى تخل بالمروءة وتذهب بالكرامة .

٣ — أن يكون الراوى ضابطا لروايته ، حتى يؤمن أداؤه للأمانة التى تحملها . والضابط هو المتقن لما يرويه ، المتيقظ له ، الحافظ لروايته إن اعتمد على محفوظه والمتثبت من كتابه إن اعتمد على مكتوبه ، العالم بمعنى ما يرويه وبما يحيل المعنى عن المراد إن روى الحديث بالمعنى .

---

(١) راجع كتاب اختصار علوم الحديث ـ أو ـ الباعث الحثيث إلى معرفة الحديث ، بتعليقات الشيخ محمد عبد الرازق حمزة والشيخ أحمد محمد شاكر ، طبعة محمود توفيق ، ص ٩٨ وما بعدها .

(٢) ممن روى الحديث من النساء عائشة أم المؤمنين ومن الموالى زيد بن حارثة ومن المكفوفين ابن أم مكتوم .

٤ — أن يشتهر الراوى بالخير والثناء الجميل عليه ، ويكفى أن يشهد له واحد أواثنان من الأئمة .

٥ — أن يكون الراوى على معرفة تامة باللغة العربية ، حتى يقدر أن ينقل كلام أفصح العرب ، وحتى يؤمن اللحن أوالخطأ فى هذا النقل .

٦ — ألا توجـــه إلى الراوى مطاعن تجرحه وتهز الثقة فيه وتقدح فى روايته .

ومن هذا تدرك سر الاهتمام بسند الحديث ، والاهتمام بمعرفة كل شخص يرد اسمه فى هذا السند ، ومعرفة حاله من العدالة أو التجريح ، ومن السلامة أو الاضطراب ؛ ليسلم الحديث ، ويبرأ من الوضع أوالكذب، ومن التزيد ، ومن الضعف ، ومن الخطأ ومن أن يقال فيه بغير علم ؛ حتى يصان الحديث ، ويصان الدين كله .

روى مسلم أن يحيى بن سعيد قال للقاسم بن عبيد الله : « إنه قبيح على مثلك أن نسألك عن شىء من أمر هذا الدين فلانجد عندك منه علما ولا مخرجا ، وأنت ابن إمامى الهدى أبى بكر وعمر [١] فأجابه القاسم : أقبح من ذاك عند من عقل عن الله أن أقول بغير علم ، أو آخذ عن غير ثقة » ، وهذا دليل على أنهم كانوا يلتمسون سلامة الحديث ، وإبعاده عن الزيف والتجريح .

وقد ألف علماء الحديث فى الرواة مصنفات كثيرة ، منها مانزع نحو التاريخ ، كتواريخ الصحابة للبخارى ، والطبقات لابن منده (٣١ هـ) ، والاستيعاب لابن عبد البر (٤٦٣ هـ) ، وأسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير الجزرى ، والطبقات لابن سعد ، وتذكرة الحفـاظ للإمام الذهبي

---

(١) أبو بكر جده الأعلى لأمه وعمر جده الأعلى لأبيه فالقاسم أمه بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وأبوه عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

(٧٤٨ ﻫ) ، وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٨٥٢ ﻫ) ، ومنها ما نزع نحو توثيق الرواة ككتاب الضعفاء للبخارى، ورواة الاعتبار لمسلم ، والضعفاء للنسائى ، والجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٢٢٧ ﻫ) ، والثقات للحافظ البستى (٣٥٤ ﻫ) ، وميزان الاعتدال فى نقد الرجال للحافظ الذهبى ، ولسان الميزان للحافظ العسقلانى (٨٥٢ ﻫ) .

متن الحديث :

ومتن الحديث نصه. وقد نظر فيه علماء الحديث أيضا، واشترطوا سلامته من أشياء كثيرة ، منها :

١ — سلامته من مخالفة العقل أو المشاهدة أو الحس ، دون إمكان تأويل هذه المخالفة بما يجعل الحديث قريبا محتملا .

٢ — سلامته من المصادمة مع القرآن الكريم أو السنة المتواترة أو المشهورة أو وقائع التاريخ المعروفة ، دون إمكان التوفيق .

٣ — سلامته من الركاكة الأسلوبية .

٤ — سلامته من أن ينفرد بروايته راو واحد فى واقعة لو صح حدوثها لرواها كثير وعرفها أكثر من واحد .

وقد اجتهد الأئمة الذين جمعوا الحديث فى التحرى والتثبت فى الرواية، واستوثقوا من صحة كل حديث رواه الرواة ، ومن صحة كل حرف ، ونقدوا أحوالهم ، ومروياتهم ، واحتاطوا أشد الاحتياط فى النقل ، فكانوا يحكمون بضعف الحديث لأقل شبهة فى سيرة الناقل الشخصية، مما يؤثر فى عدالته، فإذا اشتبهوا فى صدقه وعلموا أنه كذب فى شيء من كلامه رفضوا - من باب الحيطة - روايته ، وسموا حديثه (موضوعا) وإن لم يعرف عنه الكذب

فى الحديث ، مع علمهم بأنه قد يصدق الكذوب (١) .

وكذلك استوثقوا من حفظ كل راو ، وذلك بمقارنة رواياته بعضها ببعض ، وبروايات غيره ، فإن وجدوا خطأه أكثر من صوابه ضعفوا روايته وردوها ، وإن كان لامطعن عليه فى شخصه ولافى عدالته ؛ خشية أن تكون روايته مما خانه فيها الحفظ ، أو غلبه عليها السهو .



(١) وانظر : الكتب الصحاح الستة للشيخ الدكتور محمد محمد أبى شهبة - الكتاب الثامن من سلسلة البحوث الإسلامية لمجمع البحوث الإسلامية - شوال ١٣٨٩ هـ / ديسمبر ١٩٦٩ م ص ٢٧ ومابعدها .

مصطلحات الحديث(١)

١ — الأثر : هو الحديث المروى مطلقا ، سواء أكان عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أم عن الصحابى .

٢ — الخبر : مرادف للأثر عند الجمهور .

وقيل : الأثر ما أضيف إلى الصحابى ، والخبر ما أضيف إلى الرسول .

مثال ما أضيف إلى الصحابى ماروى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر ، وزيد فى صلاة الحضر » (أخرجه البخارى) .

٣ — الصحيح : هو الحديث الذى يتصل إسناده إلى منتهاه بنقل العدول الثقات الضابطين ولا يكون شاذاً ولا معللا . وقد بحث علماء الحديث فى أصح الأسانيد ، ونخلوها ، وأثبتوها فى كتبهم ، وانتهى بهم التحقيق إلى تقييد كل صحابى بسند معين ، ومثال الحديث الصحيح ماروواه البخارى فى كتاب الإيمان ؛ قال : (حدثنا أبو اليمان ، قال : أخبرنا شعيب ، قال : حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من يقم ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

٤ — الحسن(٢) : هو الحديث المقبول المعمول به ، سواء أكان صحيحا تام الصحة ، أم كان شبيها به قريبا منه ؛ وذلك بأن وجد فى رواته

---

(١) اعتمدنا فى عرضها ، واختيار أشهر ماقيل فيها ، وأظهره ـ على كتاب اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير .

(٢) فى حده والتعريف به كلام كثير . وقد أوردنا رأيا نرجو أن يكون مقبولا .

رجل مشهور بالصدق والأمانة ولم يبلغ درجـــة رجال الصحيح فى الحفظ والإتقان .

وغالبا ماترى هذا الوصف منسوبا إلى أصحاب السنن الأربعة ، ومثله هذا الحديث الذى نقله الإمام النووى (فى الأربعين النووية) : عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: « إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ـ حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقى وغيرهما ، وكذلك هذا الحديث : عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » ـ حديث حسن رواه الترمذى وغيره هكذا .

ولا مانع من أن يوصف الحديث بالحسن الصحيح معا ؛ إذ لاتعارض بينهما ، ومثله هذا الحديث : عن أبى ذر وعن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنهما ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » (رواه الترمذى وقال : حسن صحيح) .

٥ ـ الضعيف : هو الحديث الذى لم توجـــد فيه شروط الصحة ولا شروط الحسن . وأنواعه كثيرة ؛ منها :

(ا) الموضوع : وهو الحديث المختلق المكذوب الذى نسبه واضعوه إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعلامته : أن يباين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض الأصول ، ومعنى مناقضته الأصول أن يكون خارجا عن دواوين المسانيد والصحاح والكتب المشهورة فى الحديث .

وهذا الحديث الموضوع لاتجوز لأحد روايته إلا على سبيل بيان حاله والتحذير منه ، وشواهده كثيرة ، منها ، إقرار واضعه على نفسه بأنه قد

وضعه ، ومنها ركاكة ألفاظه إذا نسب إلى النبى لفظه ، ومنها فساد معناه ، ومنها مخالفته لحكم ثبت فى الكتاب والسنة الصحيحة (١) .

---

(١) من أمثلة الحديث الموضوع مارواه الحاكم عن سيف بن عمر التميمى قال : كنت عند سعد بن طريف ، فجاء ابنه من الكتاب يبكى . فقال : مالك ؟، قال : ضربنى المعلم . قال (أى سعد) : لأخزينهم اليوم . حدثنى عكرمة عن ابن عباس مرفوعا : (معلمو صبيانكم شراركم ، أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المسكين) وسعد هذا مطعون فيه وسيف الراوى عنه متهم بالسقوط .

ومنه مارواه ابن الجوزى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مرفوعا : (إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعا ، وصلت عند المقام ركعتين) ، وهذه من السخافات الأسلمية .

ومنه مارواه ابن الجوزى من طريق محمد بن شجاع الثلجى عن أبى هريرة مرفوعا : (إن الله خلق الفرس فأجراها فعرقت فخلق نفسه منها) ، وهذه من السخافات الثلجية الباردة .

وقد روى البخارى فى التاريخ الأوسط عن عمر بن صبح بن عمران التميمى أنه قال : وضعت خطبة للنبى . وأقر ميسرة بن عبد ربه الفارسى أنه وضع أحاديث فى فضائل القرآن ، وأنه وضع فى فضل على بن أبى طالب سبعين حديثا .

وروى ابن الجوزى باسناده إلى أبى جعفر بن محمد الطيالسى . قال : صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة ، فقام بين أيديهم قاص فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، قالا : حدثنا عبد الرازق عن معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال : لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان) وأخذ يقص على هذا النحو وكلا الرجلين ابن حنبل وابن معين ينظر أحدهما الآخر ويسأله : هل حدثته بهذا فيجيبه الآخر : ما سمعت هذا إلا الساعة . فلما فرغ الرجل قاما وناقشاه فقال لهما : عجبا كأن ليس فى الدنيا إلا يحيى بن معين واحد وأحمد بن حنبل واحد ، وانفلت منهما هاربا .

وهذا الحديث الموضوع إثمه كبير ؛ لما مر بك من قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » (أخرجه مسلم) . ولقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » (أخرجه مسلم أيضا) .

(ب) المقلوب : والقلب يكون فى الإسناد ، ويكون فى المتن . فمثاله فى الإسناد الأحاديث المائة التى اختبر بها أهل بغداد الإمام البخارى حين قدم إليها ، فأنكرها ، ثم رواها لهم برواياتها الصحيحة .

ومثاله فى المتن مارواه أحمد بن حنبل من حديث أنيسة مرفوعا : (إذا أذن ابن أم مكتوم فكلوا واشربوا،وإذا أذن بلال فلا تأكلوا ولاتشربوا) والمشهور من حديث ابن عمر وعائشة ـ رضى الله عنهما ـ : « إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » . ومثاله أيضا مارواه الطبرانى من حديث أبى هريرة مرفوعا : (إذا أمرتكم بشىء فأتوه ، وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ما استطعتم) ، والمعروف مافى الصحيحين : « مانهيتكم عنه فاجتنبوه ، وماأمرتكم به فافعلوا منه مااستطعتم » .

(حـ) الشاذ : أن يروى الثقة حديثا يخالفه فيه الناس . وليس منه أن يروى الثقة مالم يروه غيره ، بل إن هذا مقبول إن كان الراوى عدلا ضابطا حافظا .

(ى) المنكر : ما انفرد بروايتــــه الراوى غير الحافظ وغير العدل الضابط .

(هـ) المعلل : الحديث فيه علة تقدح فى صحته ، مع أن الظاهر سلامته منها . والعلل كثيرة نذكر منها ماقالوه فى الحديث : « البيعان بالخيار مالم يتفرقا » ،فهو حديث متنه صحيح ، ولكن فى سنده علة فقد رواه يعلى بن عبيد

الطنافسي عن سفيان الثوري عن عمرو بن دينار عن ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم ، وفي قوله عن عمرو بن دينار غلط وصوابه (عبد الله ابن دينار) .

أرأيت إذن إلى أي مدى يحرصون على سلامة الحديث من أي شائبة تعلق به .

(و) المضطرب : الحديث يختلف فيه الرواة على شيخ بعينه،وتتساوى الروايات بحيث يمتنع ترجيح إحداها.ومثاله ما ذكره السيوطي(في التدريب) من حديث أبي بكر - رضي الله عنه - أنه قال : « يارسول الله ، أراك شبت قال - عليه السلام - : شيبتني هود وأخواتها »،قال الدارقطني : هذا حديث مضطرب ، فإنه لم يرو إلا من طريق أبي إسحاق ، وقد اختلف عليه فيه على عشره أوجه ، فمنهم من رواه عنه مرسلا ، ومنهم من رواه موصولا ، ومنهم من جعله من مسند أبي بكر ، ومنهم من جعله من مسند سعد ، ومنهم من جعله من مسند عائشة ، ورواته ثقات لايمكن ترجيح بعضهم على بعض ، والجمع بينهم متعذر ، ومن أجل هذا وسم بالاضطراب .

(ز) المرسل : الحديث يسنده غير الصحابي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مباشرة .

وقد عول كثير من أئمة الفقه على « أن مراسيل كبار التابعين حجة إن جاءت من وجه آخر ولو مرسلة ، أو اعتضدت بقول صحابي ، أو أكثر العلماء ، أو كان المرسل لو سمى لايسمي إلا ثقة » ، ومثاله : مارواه سعيد ابن المسيب ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنما العاقل من آمن بالله ، وصدق رسله ، وعمل بطاعته » (إحياء علوم الدين - ح ١) ؛ فسعيد بن المسيب تابعي ولد في خلافة عمر بن الخطاب .

(ح) المنقطع : مالا يتصل إسناده في أي موضع (وبهذا يسمى المرسل

منقطعا أيضا) ، ومثاله مارواه عبد الرزاق عن الثورى عن أبى إسحاق عن زيد بن أثيع عن حذيفة مرفوعا : « إن وليتموها (أى الخلافة) أبا بكر فقوى أمين » ؛ ففيه انقطاع بين عبد الرزاق والثورى من ناحية ، وانقطاع بين الثورى وأبى إسحاق من ناحية ، وحقه : عبد الرزاق عن النعمان عن أبى شيبة الجندى عن الثورى عن شريك عن أبى إسحاق .. الخ .

(ط) المعضل : ماسقط من إسناده اثنان فصاعدا .

٦ ــ المرفوع : هو الحديث مضافا إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قولا أو فعلا عنه .

٧ ــ الموقوف : هو الحديث مضافا إلى الصحابى قولا له أو فعلا . ومثاله مارواه مسلم فى مقدمة صحيحه عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : « بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ماسمع » ، ومارواه عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : « ماأنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » .

٨ ــ المقطوع : هو الحديث مضافا إلى التابعى قولا له أو فعلا ، ومثاله قول عروة بن الزبير : « لقد رأيتنى قبل موت عائشة بأربع حجج ـ أو خمس ـ أقول : لوماتت اليوم ماندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته » .

٩ ــ المتواتر : الخبر ترويه جماعة بلغوا من الكثرة مبلغا يستحيل عادة اتفاقهم وتواطؤهم على الكذب ، شريطة أن يستوى التواتر فى جميع الطبقات ، ويكون الخبر من شأنه وطبعه مفيدا للعلم ، بحيث لو اطلع عليه ذو الفطرة السليمة لعلم بوجود السنة .

١٠ ـ الخبر الواحد : هو الذى لا يبلغ حد التواتر ، سواء أكان الراوى

له واحدا أم أكثر من واحد ، فوصف هذا الخبر بالواحد مقصود به عدم التواتر لاعدم التعدد .

ومنه المستفيض والمشهور :

(ا) فالمستفيض : مارواه أكثر من اثنين ـ وقيل أكثر من ثلاثة ـ ولم يبلغ مبلغ المتواتر .

(ب) والمشهور : مااشتهر على الألسنة وفى الكتب وإن كان راويه واحدا،وذلك نحو الأحاديث الخاصة بمقادير الزكاة ومناسك الحج،مما تعرفه الخاصة ويخفى على العامة.لكنه اشتهر بين الجميع.ونحو حديث « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى » فراويه واحد ، وهو عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه .



رواية الحديث بالمعنى[1]

الأصل رواية الحديث بلفظه كما نطق ، فمن الشريعة المحافظة على لفظ الحديث وحروفه ، وحكايته من غير تصرف .

أما روايته بالمعنى فذهب قوم من العلماء - كابن سيرين ورجاء بن حيوه - إلى عدم جوازها مطلقا ، وذهب قوم آخرون - كالشعبي وإبراهيم النخعي - إلى جوازها للعالم بالألفاظ البصير بمدلولاتها الخبير بما يحيل معانيها العارف بمواقع الخطاب . أما الجاهل بذلك فلا خلاف فى أنه لاتجوز له رواية الحديث بالمعنى .

والذى أختاره أن رواية الحديث المعنى جازت فى عصور الرواية الأولى لأن الرواة كانوا أهل فصاحة وأهل مشاهدة ، فالصحابة شاهدوا أحوال الرسول أوسمعوا لفظه فوعوه ، والتابعون سمعوا من شهد أحوال الرسول وسمع لفظه ، وكانت ملكة هؤلاء وأولئك فى الحفظ قوية ، وكانوا أهل فصاحة ولسن . فإذا رووا الحديث بمعناه فإنما يأتى أقرب إلى لفظ الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقوله .

أما اليوم فإن رواية الحديث بالمعنى جائزة وغير جائزة :

جائزة على وجه التحدث فى المجالس على أن يصرح المتحدث بأنه يذكر

---

(١) انظر جامع الأصول لابن الأثير ، والإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ، ومقدمة ابن الصلاح ، واختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ، وتعليقات الشيخ شاكر عليه .

المعنى : أو يقول عقيب روايته عبارة (أو كما قال) أو نحوها ، وكذلك ينبغى له أن يقول هذه العبارة إذا وقع فى خاطره شك فى لفظ ما يرويه .

ولا تجوز رواية الحديث بالمعنى فى ثلاث مجموعات : جوامع الكلم ، والأحاديث التى يتعبد بلفظها فى الصلاة والحج كالتشهد والأذكار والأدعية ، والأحاديث التى تنقل نقلا عن كتب الحديث ؛ فهذه المجموعات لا رخصة فى روايتها بالمعنى . والله أعلم .



أحوال علماء الحديث

قالوا: إن أحوال علماء الحديث - على حسب درجاتهم فى الدراية والرواية - هى على هذا الترتيب التصاعدى: المحدث - الحافظ - الحجة - الحاكم.

(ا) المحدث: من تصدى لرواية الحديث بإسناده، فعلم طرق الحديث، وعدالة رواته، ولم يصل إلى درجة الحافظ. واشتهر بهذا اللقب كثير جدا، منهم: ابن قتيبة الدينورى (٣٢٢ هـ)، والإمام البوصيرى (٤٩٨ هـ)، والإمام الزبيدى مختصر صحيحى البخارى ومسلم، والشهاب القسطلانى شارح صحيح البخارى.

(ب) الحافظ: من اشتغل بالحديث رواية ودراية، واطلع على الرواة والروايات فى عصره، وعرف شيوخه وأشياخ شيوخه طبقة بعد طبقة، بحيث يكون من يعرفهم من كل طبقة أكثر ممن يجهلهم منها. واشتهر بهذا اللقب علماء أجلاء، نذكر منهم: الإمام النسفى صاحب التفسير (٢٥٥ هـ) والإمام ابن ماجه صاحب السنن (٢٧٣ هـ)، وابن حبان صاحب الصحيح (٣٥٤ هـ)، والخطيب البغدادى صاحب التاريخ (٤٦٣ هـ)، وابن عساكر صاحب تاريخ دمشق (٥٧١ هـ)، وابن الجوزى (٥٩٧ هـ)، والحافظ الذهبى (٧٤٨ هـ)، والسيوطى (٩١١ هـ).

(ح) الحجة: من بلغ اشتغاله بالحديث مبلغا من الإتقان والحفظ بحيث يكون مرجعا يرجع إليه الحفاظ ويعولون فيما اختلفوا فيه عليه. وممن اتصف بهذا اللقب: أبو عروبة الأزدى (١٥٣ هـ)، وابن منهال (٢٧١ هـ)، والبزار (٢٧٦ هـ).

(ى) الحاكم: من أحاط علمه بمعظم الأحاديث المروية متنا وإسنادا وجرحا وتعديلا وتاريخا. وممن استحق هذا اللقب: أحمد بن حنبل، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والطبرانى (٣٦٠ هـ)، والدارقطنى (٣٨٥ هـ) وابن حجر العسقلانى (٨٥٢ هـ).

أئمة الحديث(١)

١ ـ الإمام مالك (٩٣ ـ ١٧٩ هـ).

هو أحد أئمة الفقه الأربعة (أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل).

وأبوه أنس بن مالك، وينتهي نسبه إلى ذي أصبح من اليمن.

ولد مالك في المدينة المنورة سنة ٩٣ هـ، وتأثر بجوها العلمي، واتجه منذ الصغر إلى حفظ الحديث، فروى عن نافع مولى عبد الله بن عمر، وعن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وعن ربيعة الرأي (١٢٦ هـ) وغيرهم، وكان يتتبع أخبار الصحابة، ويتعرف أقضيتهم وأحكامهم حتى يسترشد بها. وبعد أن اكتملت معارفه وشهد له ـ كما ذكر هو ـ سبعون شيخا من شيوخ العلم جلس في المسجد النبوي للحديث والفتيا، وهو في سن السابعة عشرة، وضرب به المثل: (لا يفتى ومالك في المدينة)، وسمي (إمام دار الهجرة).

---

(١) وهم كثير. وقد اخترنا منهم عشرة، وتناولنا سيرهم في إيجاز ملخص. والمستزيد أن يرجع إلى: أحمد بن حنبل الدكتور محمد رجب البيومي ـ اختصار علوم الحديث لابن كثير ـ البداية والنهاية لابن كثير ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ـ تذكرة الحفاظ الذهبي ـ تهذيب التهذيب لابن حجر ـ الثقات لابن حبان ـ ضحى الإسلام لأحمد أمين ـ الكتب الصحاح الستة للشيخ الدكتور محمد محمد أبي شهبة، مشاهير الأئمة في الفقه والحديث الدكتور محمد الطيب النجار ـ مقدمة الموطأ، نسخة كتاب الشعب ـ مقدمة جامع الأصول لابن الأثير الجزري ـ مقدمة شرح القسطلاني لصحيح البخاري ـ مقدمة شرح النووي لصحيح مسلم ـ مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر ـ مقدمة معالم السنن للإمام الخطابي ـ وفيات الأعيان لابن خلكان.

وقد ألف مالك كتابه (الموطأ) فى الحديث ، بإشارة من الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور. وقد قضى فى تأليفه أعواما كثيرة ، وقد أقامه ـ كما سبق أن ذكرنا ـ على أساس الموضوعات الفقهية ؛ يذكر الموضوع الأول (وقوت الصلاة) ؛ فيذكر الأحاديث التى تناولته ، وعمل أهل المدينة فيه ، ورأى العلماء الذين التقى بهم ، ثم ينتقل إلى موضوع الطهارة ، فموضوع الصلاة..الخ .

وقد روى الموطأ عن مالك حوالى ثمانين منهم ، الإمام الشافعى ، وذو النون المصرى ، ومحمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، وعبد الله بن وهب تلميذ مالك .

وقد تعرض مالك لمحنة قاسية ، لعبت فيها السياسة دوراً قذراً ؛ ذلك أنه كان يحدث : (ليس على مستكره طلاق) ، فدس عليه أنه يعلم الناس على القياس : (ليس لمكره بيعة) فهو إذن فى منطقهم يدعو إلى إبطال بيعة المنصور العباسى ، وبهذا يصبح الناس فى حل من اختيار خليفة جديد من العلويين . فقبض عليه والى المدينة ، وأمر به فضرب بالسياط ، وأوذى فى جسمه ، ثم عادت الدولة تعتذر له .

وتوفى ـ رحمه الله ـ سنة ١٧٩ هـ ، ودفن فى المدينة .

٢ — الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١ هـ) .

من بنى شيبان . ولد فى بغداد سنة ١٦٤ هـ ، ونشأ فيها يتيما ، فحفظ القرآن ، وطلب العلم ، وأخذ يتلقى الحديث عن علماء عصره ، ومن أشهرهم : هشيم بن بشير (١٨٣ هـ) والإمام الشافعى (٢٠٤ هـ) فترة وجوده ببغداد ، وغيرهما من أئمة العلم فى العراق والحجاز واليمن .

وحين بلغت سنه الأربعين جلس فى المسجد الجامع فى بغداد للدرس ،

ورواية الحديث ، وكان يجتمع حوله خلق كثير ينهلون من علمه ، وكان يروى الحديث بالقراءة من الكتب ولا يعتمد على الذاكرة ـ وهو الحافظ الثقة ـ مبالغة منه فى الحيطة .

ألف كتابه (المسند) فى الحديث ، فجمع فيه مايزيد على ثلاثين ألف حديث ، ورتبه ـ كما ذكرنا ـ حسب الصحابة الذين انتهت إليهم رواية الحديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى موضوعات شتى . وممن روى عنه البخارى ومسلم .

وقد تعرض الإمام أحمد لمحنة من نوع آخر ؛ ذاك أن المعتزلة روجوا للقول بأن القرآن مخلوق وليس بقديم ، وأعجب هذا الرأى الخليفة العباسى المأمون ، فبدأ يرغم الناس ـ والعلماء بخاصة ـ على قبوله ، ومن لايقبله منهم يضطهد ، واستجاب له كثير خوفا ، إلا محمد بن نوح وأحمد بن حنبل ، سيقا إليه مكبلين بالأغلال ، وأدركت المنيـــة ابن نوح فى الطريق ، ثم توفى المأمون قبل أن يصل ابن حنبل إليه ، فأودع السجن ،وحاول الخليفة المعتصم أن يحمله على القول بخلق القرآن ، فأبى ابن حنبل وتحمل الجلد والحبس نحواً من ثمانية وعشرين شهراً ، وهو لايلين ، ولا يميل مع هواهم ، حتى استيئسوا منه ، فأطلقوا سراحه ، ثم منعوه من الدرس . وقد صبر الإمام لهذه المحنة صبرا يدعو إلى الإعجاب .

وعاش بقية أيامه ورعا زاهداً عابداً ، حتى لقى ربه راضيا مرضيا فى سنة ٢٤١ﻫ .

الإمام البخارى (١٩٤ — ٢٥٦ ﻫ) .

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة . ولد سنة ١٩٤ ﻫ فى بخارى من بلاد خراسان وإليها نسب ، وكان أبوه من رجال الحديث ، وقد توفى هذا وابنه محمد صغير ، فكفلته أمه ، ونشأته ـ كرغبة أبيه ـ على حب العلم .

وقد رزق البخارى ألمعية وذكاء وحافظة قوية منذ صغره ، فما بلغ السادسة عشرة حتى حفظ أحاديث كثيرة ، وأغرم بالحديث غراماً صرفه إلى الاهتمام بمولد الرواة الذين يروى عنهم ووفياتهم ومساكنهم ، وجعله يرحل فى سبيل جمع الحديث والتثبت منه والتحرى عنه إلى شتى الأمصار ، فارتحل إلى: مكة ، والمدينة ، والبصرة ، والكوفة ، وبغداد ، والرى ، ونيسابور ، ودمشق ، وحمص ، وعسقلان ، ومصر . وفى كل بلد يذهب إليه يجتمع بعلماء الحديث ورواته ، فيأخذ منهم ويروى عنهم . ويعرض عليهم ما عنده ، ومن هؤلاء : ابن حنبل ، وإسحاق بن راهويه (الذى كان سببا فى توجهه إلى تأليف كتابه: الجامع الصحيح) ، وعلى بن المدينى ، ويحيى بن معين ، والليث بن سعد ، وغيرهم ، وقد بلغ عدد أشياخه الذى خرج عنهم ٢٨٩ شيخ ، وروى عنه من أعيان أئمة الحديث كثير أيضا ، منهم : الإمام مسلم ، والترمذى . والنسائى ، وحماد بن شاكر . وأقر له الشيوخ والتلاميذ وسائر أفراد الأمة بالفضل .

واختبر البخارى فى حفظه وسعة أطلاعه وحضوره ذهنه اختبارا قاسيا نجح فيه نجاحا باهرا ؛ ذلك أن علماء بغداد ـ حين قدم إليها ـ عمدوا إلى مائة حديث ، فبدلوا متونها ، وقلبوا أسانيدها ، ثم أعطوها لعشرة منهم ، لكل واحد عشرة أحاديث ، فألق عليه الأول العشرة التى عنده ، وكان كلما ذكر حديثا أجابه البخارى : لا أعرفه . . وبعده الثانى فالثالث . . حتى العاشر ، حتى فرغوا جميعا ، وصار جواب البخارى بأنه لايعرف حكما على

الرجل بالعجز والتقصير فى نظر العوام وشهادة فهم له فى نظر العارفين العلماء . ثم التفت البخارى إلى أول العشرة ، وقال له : أما حديثك الأول الذى أوردته هكذا (ويعيد عليه ما قاله) فصحته كذا وكذا ، وحديثك الثانى الذى أوردته هكذا صحته كذا وكذا ، حتى انتهى من تصحيح أحاديثه العشرة ، وانتقل إلى الرجل الثانى فالثالث . . حتى العاشر، ولم يجد علماء بغداد بدا من الاعتراف له بالحفظ والتبريز والإمامة ، حتى لقد بلغ العجب منه فوق إدراكه الصواب أن يسرد الأحاديث المائة بترتيبها ومتونها المقلوبة كما سمعها من مرة واحدة .

وكتابه المعروف بصحيح البخارى (واسمه الجامع الصحيح) واحد من كتبه العديدة فى علوم الحديث وفى الفقه وفى التفسير وفى التاريخ ، ولكنه أشهرها وأخلدها ذكرا ، ألفه البخارى فى ست عشرة سنة ، وجمع فيه ٩٠٨٢ حديث (١) ، اختارها ـ كما يذكر ـ من بين ستمائة ألف حديث (٢) والتزم فى الحديث المرفوع إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكون متن الحديث مرضيا ، غير شاذ ، وغير معلل ، وأن يكون رواة الحديث فى أعلى درجات الإتقان والضبط والعدالة والأمانة ، وأن يكون الإسناد متصلا ، وأن تطول ملازمة الراوى لمن يروى عنه فى الحضر والسفر (٣) .

---

(١) هذا إحصاء الحافظ ابن حجر فى مقدمة فتح البارى ، وقد أحصاها ابن الصلاح ٧٢٧٥ حديث ، ولعل الأول أقرب إلى الدقة لأنه كان يحصى بعد كل كتاب الأحاديث فى هذا الكتاب .

(٢) هذه الكثرة الكاثرة ناشئة من تعدد طرق الرواية فالحديث بمتنه يكون واحدا ولكنه بسنده يكون عشرة أو مائة أو أكثر .

(٣) للتذكرة : الحديث الشاذ يكون متنه خالف فيه الثقة من هو أوثق منه . والمعلل تكون فيه علة خفية غامضة تطعن فى صحة الحديث . والإسناد المتصل أى المتسلسل من البخارى حتى الرسول فلا يحذف من السند أحد وإلا ضعف الحديث، ويسمى السند الذى حذف منه الصحابى مرسلا ، والذى حذف منه راوغير الصحابى منقطعا ، والذى حذف منه راويان فأكثر معضلا .

وهذا الشرط الأخير وهو شرط طول الملازمة هو شرط خاص للبخارى -دون الإمام مسلم - ولا ينزل البخارى عن هذا الشرط إلا فى بعض الأحاديث التى ليست من أصل موضوع صحيحه كالأحاديث المروية عن الصحابة والتابعين ، وكالشواهد وهى الأحاديث التى تذكر موافقة لغيرها من الأحاديث فى معناها ، وكالمتابعات وهى الأحاديث التى يوافق فيها راو راويا آخر فى رواية لفظها .

والظاهرة الواضحة فى صحيح البخارى أنه يضم الأحاديث بعضها إلى بعض باعتبار الموضوع ؛ لبيان فقهه ، أو استنباط الأحكام الشرعية أو الآداب منها ، ولهذا تفرقت الأحاديث فى الأبواب المختلفة ، وتكررت ، وربما جاء المتن بعضه فى موضوع وبعضه الآخر فى موضوع آخر ، كذلك عنى البخارى بذكر آى القرآن التى يراها ذات صلة بالموضوع الذى يتناوله ، وبذكر ما ورد عن السلف فى تفسير هذه الآى ، وذكر بعض أقوال الصحابة والتابعين ، وذكر بعض آرائه هو فى مسائل الفقه .

وقد حظى صحيح البخارى باهتمام العلماء شرحا واختصارا وتعليقا ، وزادت شروحه على الثمانين ، ومن أشهرها (فتح البارى) للحافظ ابن حجر و (إرشاد السارى) للقسطلانى (٩٢٢ هـ) ومن أشهر مختصراته مختصر الإمام الزبيدى (٨٩٣ هـ) الذى شرحه الشيخ عبد الله الشرقاوى (١١٧٢هـ) فى كتابه (فتح المبدى) .

وتوفى الإمام البخارى ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ ، عن اثنتين وستين سنة ، قريبا من سمرقند بعد حياة حافلة بالنشاط العلمى ، والورع والتقوى والزهد ، وعفة اللسان ، ونزاهة القصد ، وعزة النفس .

٤ — الإمام مسلم (٢٠٤ — ٢٦١ هـ) .

هو الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى العربى - ولد فى نيسابور سنة ٢٠٤ هـ وبدأ يسمع الحديث ويحفظه وهو فى سن الرابعة

عشرة ، ومن أجله رحل - كالبخارى - إلى الأقطار المختلفة ؛ ليجمعه من أفواه الرواة والحفظة ، فسافر إلى: الرى ، وخراسان ، والعراق ، والحجاز، والشام ، ومصر ، ولقى كثيرا من أئمة العلم . فى مقدمتهم : أحمد بن حنبل ، وسعيد بن منصور ، ويحى بن يحى ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن يسار ، والبخارى ، وخرج فى صحيحه لكل منهم إلا للبخارى ، فلم يشأ أن يخرج له ، لأن البخارى حين قدم نيسابور وقع فى خصومة مع الشيخ محمد بن يحى الذهلى - وهو من شيوخ مسلم - وانتصر مسلم للبخارى فى هذه الخصومة ، مما جر على مسلم بعض المتاعب ، فآثر ألا يروى للاثنين . وروى عن مسلم كثير من المحدثين ، منهم راوية صحيحه إبراهيم بن محمد بن سفيان ، ومنهم الترمذى ، وأبو حاتم الرازى ، وموسى بن هارون . وأحمد بن سلمة ، وابن السراج .

وصحيح مسلم يسمى أيضا (الجامع الصحيح) ، وهو واحد من كتبه العديدة فى علوم الحديث وفى الفقه ، ولكنه أشهرها وأبقاها أثرا ، ألفه مسلم فى خمس عشرة سنة ، وجمع فيه - كما قال أحمد بن سلمة - اثنى عشر ألف حديث ، وقد التزم - كالبخارى - عدالة الرواة واتصال الإسناد وسلامة المتن لكنه لم يشترط ملازمة الراوى لمن يروى عنه فى السفر والحضر ، اكتفاء بمجرد « المعاصرة » ، ومن هذه الناحية كان صحيح البخارى أكثر دقة . إلا أن صحيح مسلم امتاز - أولا - بجمع المتون كلها برواياتها المتعددة فى الموضع الواحد وعدم تفرقتها فى الأبواب المختلفة وعدم تكرارها إلا فى قليل ، وامتاز - ثانيا - بالعبارة الجميلة حين يريد مسلم أن يعرض كلامه هو .

ولصحيح مسلم عدة شروح ، أشهرها شرح الإمام النووى (٦٧٦ هـ) وعدة مختصرات منها مختصر الإمام القرطبى (٦٥٦ هـ) وله عليه شرح نقل النووى منه ، والحافظ ابن حجر فى فتح البارى .

وتوفى الإمام مسلم سنة ٢٦١هـ بظاهر نيسابور ، عن سبع وخمسين سنة .

٥ – الإمام أبو داود (٢٠٢ – ٢٧٥ هـ)

اسمه سليمان بن الأشعث . ولد سنة ٢٠٢ هـ فى سجستان ، ولما شب عن الطوق أحب العلم ، ولازم العلماء ، وشغل بالرحلة فى الأقطار لجمع الحديث ، فسافر إلى خراسان ، والعراق ، والشام ، والحجاز ، ومصر . وأخيرا استقر به المقام فى بغداد ، وعرف بالصلاح والورع والتقوى ، وسعى إليه أمير البصرة أبو أحمد الموفق ، وحمله على الانتقال إلى البصرة ، فاتخذها وطنا ، وأنشأ بها حلقة للدرس ورواية الحديث ونشره ، ومازال بها حتى مات سنة ٢٧٥ هـ .

روى أبو داود عن أشياخ كثيرين ، منهم : الإمام أحمد بن حنبل ، وقتيبة بن سعيد ، وعثمان بن أبى شيبة . وروى عنه كثيرون منهم : ابنه أبو بكر ، والترمذى ، والنسائى .

وكتابه (السنن) من أهم مؤلفاته فى علوم الحديث والفقه والتاريخ والتوحيد ، جمع فيه - كما يذكر - ٤٨٠٠ حديث انتقاها من جملة خمسمائة ألف ، وخرج فى هذا الكتاب الحديث الصحيح - كما فعل الإمامان الجليلان البخارى ومسلم - والحسن ، والضعيف المحتمل ، وما لم يجمع الأئمة على تركه . وبعد أن ألفه عرضه على الإمام أحمد بن حنبل ، فاستحسنه ، وقدره .

ولهذا الكتاب (السنن) عدة شروح ، من أشهرها : معالم السنن للإمام الخطابى (٣٨٨ هـ) والمنهل العذب المورود شرح سنن أبى داود للشيخ محمود السبكى (١٣٥٢ هـ) . وقد اختصر (السنن) الإمام المنذرى (٦٥٦ هـ) وهذب هذا المختصر الإمام ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) .

٦ — الإمام الترمذى (٢٠٩ — ٢٧٩ ﻫ)

هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، من بنى سليم ، ولد سنة ٢٠٩ ﻫ فى ترمذ ، و إليها نسب ، وهى مدينة قديمة على نهر بلخ فى آسيا الوسطى .

عاش الترمذى حياته فى ترمذ إلا ما كان من أمر رحلاته فى طلب الحديث وعرض (جامعه) على علماء خراسان والعراق والحجاز ، حيث التقى بعدة أشياخ وسمع منهم وروى عنهم ، ومنهم : البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، وروى عنه كثير ، منهم : أبو العباس المحبوبى راوية سننه ، ومكحول بن الفضل ، وحماد بن شاكر .

وكان الترمذى مشهودا له بالذكاء وقوة الحافظة ، وكان له معرفة وبصر بعلوم الحديث والفقه ، وألف فى ذلك كتبا كثيرة ، منها كتابه المسمى (الجامع الصحيح [1]) ، وقد جعله موسوعة ، شاملة لكل حديث صحيح وحسن وضعيف وغريب ومعلل ، إلا أنه أبان عن علته . ويؤخذ عليه أنه روى عددا من الأحاديث الضعيفة الموضوعة ، ومن أجل هذا وجه إليه ابن حزم الظاهرى عدة مطاعن ، ولكنها ـ عند المنصفين ـ لاتبخس الرجل حقه ، ولا تنقص منزلته العلمية ، وإن كانت تؤخر ترتيب كتابه بين الصحاح الستة إلى مابعد سنن أبى داود وسنن النسائى .

وقد شرح جامع الترمذى كثير منهم ابن العربى المالكى (٥٤٣ ﻫ) فى كتابه (عارضة الأحوذى فى شرح سنن الترمذى) ، وجلال الدين السيوطى (٩١١ ﻫ) فى كتابه (قوت المغتذى على جامع الترمذى) .

وأصيب الترمذى فى أخريات أيامه بكف البصر ، ولكنه لم ينقطع عن الدرس . حتى توفى إلى رحمة الله فى ترمذ سنة ٢٧٩ ﻫ .

---

(١) ويسمى أيضا جامع الترمذى أو سنن الترمذى .

٧ ـ الإمام النسائى (٢١٥ ـ ٣٠٣ هـ)

هو أبو عبد الرحمن : أحمد بن على بن شعيب النسائى ، ولد سنة ٢١٥ هـ. فى نساء (١) ، وإليها تسب ، وبعد أن تعلم فيها مبادىء العلوم ارتحل فى طلب الحديث إلى العراق ، والحجاز ، والشام ، ومصر ، وأخذ الرواية عن كثير من الأئمة ، منهم : إسحاق بن راهويه ، وقتيبة بن سعيد ، وأبو داود ، والترمذى ، وأسمع كثيرا ماعنده من الحديث ، مثل أحمد بن إسحاق السنى راويته ، والطبرانى صاحب المعاجم الثلاثة .

وعندما حضر النسائى إلى مصر طابت له ، فأقام فيها ، وزاول نشاطه العلمى ، والتف حوله طلبة العلم ، وكان يأسرهم ببشاشته وشهامته ، ولم يزل بها حتى خرج إلى دمشق ، قبيل وفاته بعام واحد ، فأراده أهلها على أن يؤلف فى فضائل معاوية بن سفيان مثلما ألف فى فضائل على بن أبى طالب ، فأبى ، فضربوه ضربا مميتا ، وفاضت روحه إلى بارئها سنة ٣٠٣ هـ . ويقال : إنه دفن فى بيت المقدس .

ألف النسائى كتابين فى الحديث ، شهر أولهما باسم (السنن الكبرى) والآخر باسم (السنن الصغرى) وهو الذى ينصرف إليه الذهن عندما يقال (سنن النسائى) وقد سماه هو (المجتبى) وهو ـ كما يدل اسمه ـ مختار من (السنن الكبرى) . وإذا كانت السنن الكبرى تضم الحديث الصحيح والحسن والمقبول فالسنن الصغرى تقتصر غالبا على الحديث الصحيح والحسن ، مما يجعل لها منزلة علمية بعد صحيحى البخارى ومسلم .

وقد شرحها السيوطى فى كتابه (زهر الربا على المجتبى) كما شرحها ابن نللقن (٨٠٤ هـ) ، والسندى (١١٣٨ هـ) .

---

(١) نساء بفتحتين وزان سحاب بلد بخراسان .

٨ - الإمام ابن ماجه (٢٠٩ - ٢٧٣ ﻫ).

هو أبو عبد الله محمد بن يزيد (ماجه). ولد فى قزوين سنة ٢٠٩ ﻫ، ونشأ على حب الحديث والفقه، وارتحل فى طلب الحديث إلى العراق. والحجاز، والشام، ومصر، ولقى كثيراً من كبار الأشياخ، وسمع منهم الحديث، ومنهم أصحاب مالك بن أنس بالمدينة المنورة، وأصحاب الليث بن سعد (١٧٥ ﻫ) فقيه مصر. وروى عنه الأبهرى، والقطان، وابن سيبويه، وغيرهم.

ألف ابن ماجه فى الحديث كتابه (السنن)، كما ألف كتبا فى التاريخ وفى التفسير. وكتابه (السنن) يحوى أكثر من أربعة آلاف حديث، رتبها بحسب أبواب الفقه، وتجمع الحديث الصحيح والحسن والضعيف، وعدة أحاديث منكرة وموضوعة انفرد بروايتها، مما يجعل هذا الكتاب آخر الصحاح الستة منزلة، ويحمل على الاحتياط فى الأخذ بما انفرد بروايته، وفيما عدا ذلك للكتاب قيمته، ولصاحبه مكانته.

وشرح هذه السنن السيوطى فى كتابه (مصباح الزجاجه عن سنن ابن ماجه)، كما شرحها الشيخ السندى شرحا موجزا.

وتوفى الإمام ابن ماجه سنة ٢٧٣ ﻫ.

٩ - الإمام النووى (٦٣١ - ٦٧٦ ﻫ):

هو أبو زكريا يحيى بن شرف، ولد سنة ٦٣١ ﻫ، فى نوى - من أعمال القليوبية بمصر - وإليها نسب، وشب جاداً، عزوفا عن اللعب، منصرفا إلى القرآن يحفظه، ويتلوه، ولما تعلم مبادىء العلوم فى مصر ارتحل إلى دمشق - وهو فى سن الثامنة عشرة - يطلب العلم، ويسمع من أشياخ وقته، حتى تخرج، وشهدوا له، وبعدها استقل بالنظر والفهم، حتى صار من العلماء المرموقين فى علوم الحديث، وفى فقه الشافعية.

ولما عاد إلى مصر ولى مشيخه دار الحديث سنة ٦٦٥ﻫ، واشتغل بالتأليف

والتصنيف ، والتعليم ، واشتهر بالورع والزهد ، والشجاعة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ومن مؤلفاته شرحه لصحيح مسلم ، وهو شرح متوسط ، تناول فيه مسائل كثيرة فى اللغة ، والأحكام ، والآداب ، وضبط أسماء الرواة ، والتوفيق بين ماظاهره التعارض من الأحاديث والآثار ، وذكر أدلة الأقوال والمذاهب ولهذا الشرح مقدمة مبسوطة ، تناول فيها فضل علوم الحديث ، وطريقته فى شرح صحيح مسلم ، وروايته التى وصل بها إليه ، وفضله هو وصحيح البخارى ، والقول فى أصول الرواية ، وعناية مسلم بضبط اختلاف الرواة ، وتقسيمه للأحاديث ، وبيان أنواعها ، والناسخ منها والمنسوخ ، وضبط الأسماء المتكررة ، وغير ذلك .

وللنووى غير هذا الشرح مصنفات أخر ، منها : رياض الصالحين ، والأذكار ، والإيضاح فى المناسك ، والتبيان فى آداب حملة القرآن ، والإرشاد فى علوم الحديث .

وتوفى سنة ٦٧٦ ﻫ فى نوى ودفن بها ، وقبره فيها مزار معروف .

١٠ — الإمام ابن حجر (٧٧٣ — ٨٥٢ ﻫ)

هو الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن حجر العسقلانى ثم المصرى ، ولد سنة ٧٧٣ ﻫ .

واشتهر ابن حجر بشرحه لصحيح البخارى المسمى (فتح البارى) ، وهو شرح محرر ، دل على سعة فى العلم . واطلاع غزير ، فقد جمع فيه طرق الأحاديث . واستقرأ الوارد منها فى كل باب ، وبين منزلتها من الصحة والضعف ، وأضاف إلى هذا كله استنباطات فقهية ، وفوائد بلاغية وإعرابية ولغوية .

ولهذا الشرح مقدمة سماها (هدى السارى) عرف فيها بالبخارى وبصحيحه وبعلوم الحديث ، وما يزال الشرح ومقدمته عمدة الباحثين ومرجعهم .

وتوفى الإمام ابن حجر سنة ٨٥٢ ﻫ

آفاق الحديث

آفاق متسعة للهدى النبوى :

رسالة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما هى رسالة الهداية والإرشاد إلى الناس كافة ، ودعوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما هى الدعوة الشاملة إلى تحرير العقول من أوهامها وضلالاتها ، ومن أجل هذا وذاك جاء حديثه ـ عليه الصلاة والسلام ـ نبراسا يضىء للناس طريق الهدى وسبيل الرشد ، وصار كل مايصدر عنه منارا يقود البشرية فى مسالك السلامة ودروب النجاة .

وقد عرفت أن القرآن الكريم نزل من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأمهات التشريع ، وأن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان عليه أن يوضح للناس تشريع الله كما أنزل، ويشرحه لهم ، ويفصل ما احتاج منه إلى التفصيل، وأن يؤكد أحكام الدين ، ويثبت قضاياه ومسائله فى نفوس الأمة ، حتى تستقر شريعة الله ، وأن يجلو الآداب الاجتماعية والسلوكية التى يرضى عنها الإسلام ببيانه الفصيح وسلوكه المستقيم .

ونظرة سريعة إلى رءوس الموضوعات التى وردت فى (صحيح البخارى) وحده تطلعنا على آفاق متسعة للهدى النبوى ، وترينا أن الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يدع أمراً من أمور الحياة عرض له إلا وكان له فيه: قول ، أو رأى ، أو فعل ، أو إشارة ، أو توجيه ؛ وإن شئت فقل : كان له فيه حديث .

ونحن ندرك ـ إذن ـ أن أيام الرسول كلها كانت خيراً وبركة ونعمة على أمته وعلى البشرية جمعاء ؛ لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنفقها فى تعليم الناس ، وتربيتهم ، وتثقيفهم ، وتهذيبهم ، وهدايتهم إلى سواء السبيل .

جولة فى صحيح البخارى :

وهذه هى رءوس الموضوعات كما قرأناها فى (صحيح البخارى) ، نذكرها تاركين تفصيلات كثيرة ، وتفريعات متعددة :

الوحى ، الإيمان ، حلاوة الإيمان ، الإيمان والعمل ، الإسلام والإيمان ، النفاق ، زيادة الإيمان ونقصانه ، الإحسان ، النية ، الدين النصيحة .

العلم ، فضل العلم ، أدب المتعلم ، العلم والعمل ، إضاعة العلم ، تعليم النساء ، كتابة العلم ، الحياء فى العلم ، الفتيا فى المسجد .

الطهارة ، صفة الوضوء ، صفة الغسل ، آداب الخلاء ، الماء الطهور ، غسل الجنابة ، غسل النجاسات ، الاحتلام ، الحيض والنفاس والاستحاضة ، ما يباح للحائض وما لا يباح ، التيمم ، أصله وكيفيته ، التيمم مع وجود الماء .

الصلاة ، فرضها ، متى فرضت ، ستر العورة ، ثياب المرأة ، الصلاة على الفراش ، الصلاة فى الخف ، استقبال القبلة ، آداب دخول المساجد ، الصلاة فى المقابر ، الصلاة فى البيع ، أبنية المساجد ، الشعر فى المسجد ، التقاضى فى المسجد ، التجارة فى المسجد ، التمريض فى المسجد ، الصلاة فى الكعبة ، المرور بين يدى المصلى ، مواقيت الصلاة ، الصلاة لوقتها ، قضاء الصلاة ، السمر بعد العشاء ، الأذان ، الإقامة ، صلاة الجماعة ، الإمامة ، صلاة الليل ، الجهر والسر فى القراءة ، هيئات الركوع والسجود والقيام والقعود ، التشهد ، الذكر بعد الصلاة ، صلاة الصبيان ، صلاة النساء ، صلاة الجمعة ، الزينة والتطيب ليوم الجمعة ، الخطبة ، صلاة الخوف ، صلاة العيدين ، صلاة الوتر ، صلاة الاستسقاء ، الصلاة للكسوف والخسوف ، سجدة القرآن ، صلاة المسافر ، التهجد فى الليل وقيامه ، كراهة التشديد فى العبادة ، صلاة التطوع ، صلاة الضحا ، صلاة النوافل جماعة ، حركة المصلى ، سهو المصلى .

الجنائز ، اتباعها ، نعى الميت ، غسله ، تكفينه ، إحداد المرأة ، زيارة القبور ، كراهة النياحة ونحوها ، صلاة الجنازة ، اتخاذ القبور مساجد ، الدفن بالليل ، الصلاة على الشهيد ، الانتحار ، عذاب القبر ، موت الفجاءة ، النهى عن سب الموتى .

الزكاة ، فرضها ، إثم مانعها ، الرياء فى الصدقة ، صدقة العلانية وصدقة السر ، آداب التصدق ، المرأة تتصدق من مال زوجها ، الأنصبة والمقادير والأنواع ، مصارف الزكاة ، الاستعفاف عن المسألة ، الإلحاف فى السؤال ، صدقة الفطر ، وجوبها ، مقدارها .

الحج ، فرضه ، فضله ، الحج المبرور ، مواقيت الحج والعمرة ، الإحرام ، ملابس المحرم ، التلبية والإهلال ، التمتع والإقران والإفراد ، كسوة الكعبة ، الحجر الأسود واستلامه ، الطواف ، السعى بين الصفا والمروة ، حج المرأة ، الوقوف بعرفة ، الهدى ، رمى الجمار ، الإحلال ، طواف الوداع ، إحصار المحرم ، صيد الحرم ، حج الصبيان ، حرم المدينة المنورة وفضلها .

الصوم ، فرض صيام رمضان ، فضل الصوم ، النبى فى صيامه ، مايحل للصائم ، السحور ، الجنابة فى الصيام ، الإفطار ناسيا وعامدا ، الصوم فى السفر ، فدية الإفطار ، صيام المرأة ، صيام الصبيان ، مواصلة الصيام ، صيام غير رمضان ، فضل ليلة القدر ، الاعتكاف .

البيوع والمعاملات ، التجارة وكسب المال ، البعد عن الشبهات ، الشراء بالأجل ، آداب البيع ، حرمة الربا ، الخيار فى البيع والشراء ، الوفاء بالكيل والميزان ، المزايدة ، معاملة الشركاء ، الاتجار فى الخنزير والمحرمات والميتة ، السلم (السلف) ، الضمان فى السلم ، الشفعة ، الإجارة ، حق الأجير ، أجر السمسرة ، الحوالات ، الكفالات والضمانات ، الوكالة ، الوكالة فى الحدود ، الحرث والمزارعة والمساقاة ، الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس ،

المخاصمات ، اللقطةوضوال الدواب ، الغصب ، إثم الظلم والظلمة ، المخاصمة فى باطل ، الشركة ، تقويم الأنصبة بين الشركاء ، مشاركة اليتيم ، مشاركة الذمى والكافر ، الشركة فى الذهب والفضة ، الشركة فى الرقيق ، الشركة فى الهدى ، الرهن ، العتق وفضله ، مكاتبة العبد ، أم الولد ، معاملة الأسير ، عتق المشرك ، تأديب الجارية ، تأديب الخدم ومعاملتهم ، الهبة ، الهدية ، الهبة للولد ، هبة المرأة لغير زوجها ، هبة الديون ، الهدية من المشركين ، الهدية لهم ، لا رجوع فى الهبة والصدقة ، الاستعارة .

الشهادات ، البينة ، الشهداء العدول ، الشهادة على الأنساب والرضاع ، شهادة مرتكب الكبيرة ، شهادة الزور ، شهادة الأعمى ، شهادة النساء ، شهادة الإماء والعبيد ، شهادة المرضـــع ، اليمين ، الحلف بالله ، صدق الوعد ، القرعة فى المشكلات .

الإصلاح بين الناس ، الدعوة إليه ، رد الصلح إذا كان على جور ، الصلح مع المشركين ـ الصلح فى الديات ، الصلح بين الغرماء ، الصلح بين أصحاب الميراث ، الصلح بالدين والعين .

الشروط : فى المبايعات ، فى الزواج والمهر ، فى المزارعة ، فى الحدود، فى الطلاق ، فى الجهاد ومصالحة أهل الحرب ، فى القرض ، فى الوقف .

الوصايا ، كتابة الوصية ، الوصية بالثلث ، لا وصية لوارث ، الصدقة عند الموت ، الوصية للأقارب ، الوصاية على اليتيم ، الوقف .

الجهاد والسير ، جهاد المؤمن بنفسه وبماله ، فضل الجهاد فى سبيل الله ، تمنى الشهادة ، فضل الشهيد ، الجنة تحت بارقة السيوف ، الشجاعة والجبن فى الحرب ، النفير ، الصبر عند القتال ، تجهيز الغزاة ، الاستطلاع ، الخيل فى الحرب والسلم والسبق ، غزو النساء ، الحراسة فى الغزو ، الخدمة فى الغزو، الرباط ، عدة الحرب ، توديع المحاربين ، السمع والطاعة للإمام ، البيعة

على عدم الفرار ، لواء النبي ، الحرب خدعة ، الأسرى ، الحربيون ، أهل الذمة ، عرض الإسلام ، الغلول ، استقبال الغزاة ، الغنائم وتوزيعها ، النهى عن الغدر ، المصالحة والموادعة .

الخلق ، خلق السموات والأرض ، خلق النجوم والشمس والقمر ، خلق الرياح ، خلق الملائكة ، الجنة وصفتها ، الجن ، الدواب ، الإنس ، آدم وسائر الأنبياء وسيرة كل منهم ، يأجوج ومأجوج ، بنو إسرائيل ، تعارف البشرية ، مناقب قريش ، قصة زمزم ، صفة النبي وخلقه وسيرته ، فضائل الصحابة ومناقبهم ، مناقب الأنصار ، بنيان الكعبة ، أيام الجاهلية ، السابقون إلى الإسلام ، الهجرة إلى الحبشة ، الإسراء والمعراج ، وفود الأنصار ، الهجرة إلى المدينة ، اليهود فى المدينة ، غزوات الرسول وبعوثه وكتبه ، مرض النبي ووفاته .

التفسير ، ماجاء فى سور القرآن الكريم .

النكاح ، الترغيب فيه ، الصداق ، الكفاءة ، من تحل من النساء ومن تحرم ، الأنكحة الباطلة ، النظر إلى المرأة قبل الزواج ، زواج البكر وزواج الثيب ، تزويج اليتيمة ، آداب الخطبة (الخطوبة) ، حفلات الزفاف ، الهدايا للعروس ، الولائم ، حسن المعاشرة ، المرأة فى بيت زوجها ، حق الزوج ، العزل ، العدل بين النسوة ، الغيرة ، الخلوة بالمرأة ، خروج النساء لحوائجهن ، طلب الولد ، إبداء الزينة .

الطلاق ، طلاق السنة وطلاق البدعة ، طلاق الثلاث ، طلاق المكره والسكران والمجنون والناسى ، الخلع ، الإيلاء ، الظهار ، اللعان ، المراجعة ، عدة المرأة ، الحداد .

النفقات ، فضل النفقة على الأهل ، نفقة العيال ، نفقة الرضيع ، نفقة المرأة ، عمل

المرأة ، عمل المرأة فى بيت زوجها ، خادم المرأة ، كسوة المرأة ، نفقة المعسر على أهله .

الأطعمة والأشربة ، طيبات الطعام ، آداب الأكل ، تسمية المأكول ، البركة فى طعام الجماعة ، آنية الأكل ، الجلوس إلى الموائد ، كراهة استبقاء رائحة الثوم ونحوه ، آداب الاستضافة ، العقيقة (الشاة تذبح عند ولادة الطفل أو الطفلة) ، الذبائح ، صيد البر وصيد البحر ، أكل الجراد ، ماذبح على النصب ، التسمية عند الذبح ، أداة الذبح ، ذبيحة أهل الكتاب ، لحوم الطير والخيل والحمر والسباع ، جلد الميتة ، أكل المضطر ، الأضاحى ، سنة الأضحية ، قسمتها ، وقت ذبحها ، مايؤكل منها ، الأشربة ، الحلال منها والحرام ، الخمر ، نقيع التمر ، شرب اللبن ، آداب الشرب ، خدمة الصغار الكبار ، آنية الشرب .

المرض والطب ، المرض كفارة ، الابتلاء بالمرض ، عيادة المريض ، عيادة النساء الرجال ، عيادة الصبيان ، عيادة المشركين ، آداب العيادة ، تمنى الموت ، الطب ، مداواة الرجل المرأة والمرأة الرجل ، الأدوية ، الحجامة ، الاكتحال ، الطاعون ، الوقاية من الوباء ، الرقى والتعاويذ ، الفأل ، الكهانة ، السحر .

اللباس والزينة ، زينة اللباس ، الأردية ، لبس الحرير للرجال وللنساء ، الزينة بالذهب وبالفضة ، الخاتم ونقشه ، تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء ، الحلاقة ، تقليم الأظفار ، الخضاب ، التطيب ، الامتشاط ، الوشم ، التصاوير .

الأدب ، بر الوالدين ، صلة الإخوة ، صلة الرحم ، مداعبة الولد ، رحمة الناس والحيوان ، صلة الجار ، تعاون المسلمين ، الحب فى الله ، كراهة السخرية والسباب واللعن والغيبة والنميمة والنفاق والتمادح والتحاسد والتدابر والظن ، ستر المسلم ، الخصام ، آداب الزيارة ، الصبر على الأذى ، العتاب ، الغضب

لأمر الله ، الحياء ، التيسير على الناس ، الانبساط لهم ، المداراة ، الفطنة ، حق الضيف ، إكرام الكبير ، هجاء المشركين ، تسمية الوليد ، التكنية ، حمد العاطس وتشميته ، التثاؤب ، الاستئذان ، تحية الإسلام ، رد التحية ، آداب التسليم ، إفشاء السلام ، الحجاب ، التسليم على الصبيان ، وعلى النساء ، وعلى المشركين ، رد التحية على أهل الذمة ، المصافحة ، الدخول فى المجالس ، حفظ السر ، إغلاق الأبواب .

الدعوات ، الاستغفار ، التوبة ، أدعية لمختلف الأعمال والأوقات ، الدعاء بالموت وبالحياة ، الصلاة على النبى ، التعوذ من الفتن وأمثالها ، الاستخارة ، الدعاء على المشركين ولهم ، التأمين ، التهليل ، التسبيح ، العمل لوجه الله ، التحذير من زهرة الدنيا ، فضل الفقر ، معيشة النبى ، الرجاء مع الخوف ، حفظ اللسان ، البكاء من خشية الله ، الانتهاء عن المعاصى ، الغنى غنى النفس ، الأعمال بخواتيمها ، العزلة ، رفع الأمانة ، الرياء والسمعة ، التواضع ، من أحب لقاء الله ، سكرات الموت ، نفخ الصور ، الحشر ، القصاص يوم القيامة ، صفة الجنة والنار ، الصراط ، الحوض والكوثر .

القدر ، الرضا بالقدر ، لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، الهدى هدى الله .

الأيمان والنذور ، اليمين اللغو واليمين المعقودة ، الحلف بالله وبغير الله ، الحنث فى الأيمان ، اليمين الغموس ، الوفاء بالنذر ، لا نذر فى معصية ، كفارة اليمين ، الاستثناء فى اليمين .

الفرائض (المواريث) ، تعليمها ، الأنبياء لا تورث ، أنصبة الوارثين ، ميراث الأسير ، الميراث بين الكافر والمسلم .

الحدود ، حد شارب الخمر ، حد السارق ، إقامة الحدود ، كراهة الشفاعة فى الحد ، جزاء المحاربين من أهل الكفر والردة ، فضل من ترك الفواحش ،

إثم الزناة وحدّهم ، نفى أهل المعاصى والمخنثين ، قذف المحصنات ، التعزير ، القتل العمد ، القصاص فى القتلى ، العفو فى القتل الخطأ ، القصاص فى الجراحات ، الاقتصاص بالسلطان ، ديات الأعضاء ، لايقتل مسلم بكافر ، استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، إثم من أشرك بالله .

الإكراه ، بيع المكره ، زواجه ، هبته .

ترك الاحتيال والخداع : فى الصلاة ، فى الزكاة ، فى الزواج (بالشغار)، فى البيوع ، فى الهبة ، فى الهدية ، فى الشفعة .

التعبير والرؤيا الصالحة ، بدء الوحى ، رؤيا الصالحين ، رؤيا أهل الفساد والشرك ، رؤيا النبى فى المنام ، رؤيا الليل ورؤيا النهار ، رؤيا النساء ، أمثلة من تعبير الرؤيا ، ماذا تفعل إذا رأيت مايكره ؟

الفتن ، المنكرات، الاستعاذة منها ، ذكر الدجال، ذكر يأجوج ومأجوج.

الأحكام ، طاعة الله والرسول وأولى الامر ، السمع والطاعة مالم تكن معصية ، سؤال الإمارة ، القضاء والفتيا ، رزق الحكام والقضاة ، هدايا الولاة، اللدد فى الخصومة . الإصلاح ، أمانة الكاتب ، ترجمة الحكام ، محاسبة الولاة والعمال ، بطانة الإمام ، مبايعة الإمام ، بيعة النساء ، الاستخلاف .

التمنى ، تمنى الشهادة ، والخير ، والقرآن والعلم ، ولقاء العدو .

الاعتصام بالكتاب والسنة ، الاقتداء بسنن الرسول، كراهة التنازع فى العلم ، كراهة الغلو فى الدين ، كراهة البدع ، إثم من دعا إلى ضلالة ، مجادلة أهل الكتاب ، الاجتهاد وأجره ، كراهة الخلاف ، الأمر شورى .

التوحيد ، الكمالات الإلهية ، ذكر الله ، على الرسول البلاغ ، تفسير الكتب المنزلة ، قراءة القرآن .

وهذه - كما ترى - آفاق واسعة ، تناولت فقه الشريعة ، وأحكامها ، وآدابها .

وكان للرسول - صلى الله عليه وسلم - فى كل منها حديث أو أكثر من حديث ، يجد فيه الناس الحكم الشرعى الذى يجب أن يقبلوه ، والأمر الدينى الذى يجب أن يأخذوه ، والأدب الربانى الذى ينبغى أن يتبينوه ؛ طلبا لسعادة دنياهم وأخراهم ، ولاستقامة حياتهم على شريعة الله والرسول .

ولو عرضنا لهذه الآفاق جميعا لطال علينا الأمد . لذا نكتفى ، فيما يلى ، بعرض قليل منها ، فيه بعض الغناء ، وفيه كثير من الخير لمن استبصر واعتبر وهدى إلى صراط مستقيم .



أمثلة من هدى الرسول

١ — الاعتصام بالكتاب والسنة :

كتاب الله هو القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وبالآخرة هم يوقنون ، لذلك جاء الحديث يصفه ، فعن على بن أبى طالب — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « كتاب الله — تعالى — فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله » (أخرجه الترمذى) . وبشر الرسول من يتلونه ويتدارسونه بالسكينة واطمئنان القلب بنور الله — تعالى — فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » . وأى بيت يتخذ لتلاوة القرآن ومدارسته يمكن أن يعتبر بيتاً من بيوت الله ، وإن شئت فقل : إن بيت الله هو المسجد وقد خصه بالذكر لأنه الغالب فى هذه الأمور .

وقد روى أبو موسى الأشعرى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « تعاهدوا هذا القرآن ؛ فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من صدور الرجال من الإبل فى عقلها » (أخرجه الشيخان) فالرسول يلزمنا تعهد القرآن والحفاظ عليه وملازمته والعمل بما فيه ، ففى ذلك خير الدنيا والآخرة . أما إن أهمله المسلمون ونسوه فإن الله يرفعه من صدورهم ؛ لأنهم لم يعودوا أهلا لحمل أمانته ، وقد شبه الرسول انفلات القرآن من الصدور — بسبب الإهمال والترك أو قراءته قراءة لا تجاوز الحناجر — بانفلات الإبل من عقلها أى حبالها التى تعقل بها وتقيد .

وعن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » (أخرجه النووى فى كتاب الحجة) ، وفى هذا يبين الرسول أن على المسلم أن يعرض عمله على الكتاب والسنة وأن يخالف هواه ، وأن يتبع ماجاء به النبى ، إذ ليس لأحد مع الله ولا مع رسوله أمر ولا هوى . وإن فى الاستمساك بسنة الرسول وتحكيمها لخيراً كثيراً وهدى وبصيرة ، فى كل وقت ، وعلى الأخص عندما تضطرب الأمور وتختلف ، قال رسول الله - فيما رواه عنه أبو نجيح العرباض بن سارية - : « إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ . وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل بدعة ضلالة » (أخرجه الترمذى وأبو داود) .

٢ — صلة العبد بربه :

الصلة بين الله وعبده صلة مباشرة ، لا تحتاج إلى أكثر من أن يؤدى العبد حق الله عليه ، وأن يتجه فى سعيه وعمله وعبادته إلى الله اتجاها خالصاً ، وقد أوضح الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذه الصلة فيما يرويه عن الله - عز وجل - فى الحديث القدسى : « أنا عند ظن عبدى بى »(١) .

وفى حديث قدسى آخر رواه أبو هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الله - عز وجل - قال : « من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن

---

(١) نصه فى ص ٢٠ من هذا الكتاب ، وانظر شرحه فى كتابنا (فى رحاب الهدى النبوى) ص ٥

سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه» (أخرجه البخارى) ، فالله - سبحانه وتعالى - يعرض على عبده محبته ، والمحبة من الله إرادة الخير ، فإذا أحب الله عبده شغله الله بذكره وطاعته ، وصانه من الهوى والشيطان ، وحفظ أعضاءه من ارتكاب المحرمات ، ووجهها إلى الطاعات .

وهذه الصلة بين الله وعبده على هذا النمط بعيدة عن أى شبهة من شبه الشرك ، فعلى المسلم أن يقدس هذه الصلة ، ويضعها فى قمة اعتباره ، حتى فى المواطن التى تحتاج إلى توثيق وعهد ، روى عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم؛ فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» (أخرجه الشيخان) ؛ ففى هذه الدعوة إلى ألا يكون الحلف إلا بالله استشعار جلالة الله وعظمته ، مما يحمل المرء على تحرى الصدق ، والاطمئنان إلى سلامة تصرفه ، لأن الله مطلع على سره وجهره ، ولا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .

٣ — التيسير فى الدين :

ظن أناس أنهم لا يبرءون من عهدة الطاعة إلا إذا بالغوا فى أدائها ، وأوغلوا فيها ، وشددوا على أنفسهم ، فجاءوا يسألون عن عبادة النبى - صلى الله عليه وسلم - فلما أخبروا بها عدوها قليلة ، وظنوا أن الباعث على قلتها هو أن النبى مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، واعترف أحدهم أنه يقوم للصلاة من الليل أبدا لا ينقطع عن ذلك ، وقال الثانى : إنه يصوم الدهر ولا يفطر ، وقال الثالث : إنه لا يتزوج أبداً زهداً فى النساء . وبلغ مقالهم الرسول ، فماذا قال ؟ .

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى يسألون عن عبادة النبى ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين

نحن من النبي ؛ قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر . فقال أحدهم : أماأنا فأصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أناأعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : « مابال أقوام قالوا : كذا وكذا . أما - والله - إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ؛ فمن رغب عن سنتى فليس منى » (أخرجه البخارى) .

فقد أعلن الرسول أن هذه الطاعات المبالغ فيها ليست من الدين فى شىء ؛ لأنها تخالف الفطرة ، وتناقض الطبيعة ؛ وأعلن - فى صراحة - أنه هو - صلى الله عليه وسلم - يصوم ويفطر فليس صومه بدائم متواصل ، وأنه يصلى فى الليل ويرقد فليس قيامه الليل بمستمر لاينقطع ، وأنه يتزوج فلا يعتزل النساء .

وليقرأ أمثال هؤلاء ممن يشددون على أنفسهم حديث الرسول الذى يرويه عنه أبو هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر ، ولن يشاد أحد هذا الدين إلا غلبه ، ولكن سددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة » (أخرجه البخارى). فهذا الدين يسر ، سهل التناول ، لاعنت فيه ولا صعوبة ولا إرهاق ، ولن يشاد الدين ولن يقاومه أحد مؤملا أن يستقصى غاياته إلا عجز هو وغلبه الدين؛ لأن الطاعة - مهما بلغت من الكثرة والاستقصاء - قليلة فى جنب الله .

ولذا ينصح الرسول بالسداد أى بالاتجاه إلى الصواب من غير إهمال ولا مبالغة ، وبالمقاربة أى الاقتصاد فى العبادة والتوسط فيها بلزوم الاعتدال دون إفراط ولا تفريط ، ويزف الرسول البشرى بالثواب على كل طاعة مهما كانت قليلة ، ويدعو الرسول الناس أن تكون عبادتهم عن قدرة وفى أوقات نشاطهم ، حتى يقيموها على وجهها الصحيح ، ويمثل لهم ذلك بالمسافر الذى

يريد أن يصل إلى غايته فى يسر وسهولة ، فهو لا يسير ليله ونهاره مواصلا ؛ ولكنه يتخير أوقات النشاط ، يسير فى الغدوة أول النهار ، ويستريح وقت القيلولة ، ثم يستأنف السير فى الروحة أى ساعة الأصيل ، وقد يسير بعضا من الليل(١) . هذا هو السير الذى يؤمن معه الوصول إلى الغاية .

وما أحرى المتعبد أن يختار لعبادته أوقات نشاطه ، حتى يؤدى العبادة على وجهها الصحيح ، وحتى يكون متيقظا لما يقيمه منها ، وحتى لا يعرض نفسه للكلال والنصب ، فيكون ـ كما ورد فى حديث آخر ـ كالمنبت ، أى المجهد نفسه وراحلته فى السير ، لا يقطع أرضاً ، ولا يبقى ظهراً . وليعلم أن « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » (حديث شريف أخرجه الشيخان عن عائشة) .

٤ ــ العناية بالمرأة :

كانت المرأة قبل الإسلام مسلوبة الحق ، مهضومة ، مهينة ، يحرم عليها أن تمارس عملا لا يرضى عنه الرجل ، وليس لها أن ترد زوجا ، أو تنال نصيباً من ميراث ، وعلى الجملة لا تعد شيئا مذكوراً إلا أن تكون متاعا أو كالمتاع ، قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : « كنا فى الجاهلية ما نعد النساء شيئا ، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهن ما قسم » ، فجاء الإسلام فاعتبرها رفيقة الرجل فى الحياة ، لا تقوم للحياة قائمة إلا بها وبالرجل متعاونين ، ولم يفرق بينهما إلا فى قليل من الأمور ، التى تقتضيها طبيعة كل منهما .

وأول شىء حرص الإسلام عليه هو تعليم المرأة وتهذيبها ؛ روى أنس

---

(١) وهذا هو الذى أشار إليه بقوله : « وشىء من الدلجة » والدلجة السير فى الليل أو فى وقت السحر بخاصة .

- رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» (أخرجه البيهقى). ومارس الرسول أمر تعليمها بنفسه، روى مسلم «جاءت امرأة إلى النبى، فقالت: يارسول الله؛ ذهب الرجال بحديثك؛ فاجعل لنا من نفسك يوما نأتى إليك فيه، تعلمنا مما علمك الله. قال: اجتمعن يوم كذا وكذا، فاجتمعن، فجاء رسول الله فعلمهن مما علمه الله» فالمرأة قد شكت إلى الرسول أن الرجال ذهبوا بحديثه أى انفردوا بسماعه وحفظه وروايته لكثرة ماصحبوه، ونشدت الخير لدى الرسول لها ولمثلها من النساء، واستجاب الرسول لهن؛ لما رأى من حقهن فى أن يسمعن منه، ويروين حديثه.

والإسلام يربأ بالمرأة أن تعامل معاملة السلعة فى سوق الرجال، فهو يعطيها الكلمة الأولى فى أمر زواجها، فلابد أن تستأمر أو تستأذن قبل أن ينفذ عقد زواجها؛ عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لاتنكح الأيم حتى تستأمر، ولا البكر حتى تستأذن. قالوا: يارسول الله؛ وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت» (أخرجه البخارى) فالأيم أى الثيب التى سبق لها الزواج لابد أن تصرح بأمرها وبرغبتها فى إنفاذ الزواج الجديد، والبكر تستأذن فى ذلك أيضا، وإذنها - للحياء الغالب على مثلها - أن تسكت عن رضا، تعرف منه الفرحة فى عينيها، والبشر فى وجهها؛ إيذانا بموافقتها على زواجها.

ونهى الرسول أن تتخذ المرأة لعبة فى سوق المزايدة، وأوجب أن تصان عما من شأنه أن يوغر الصدور، فحرم الخطبة على الخطبة إلا إذا تخلى الخاطب الأول؛ عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: «نهى النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يبيع الرجل على بيع أخيه، وأن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب» (أخرجه البخارى)، والسر فى هذا النهى هو الرغبة فى صيانة المرأة عن أن تتخذ سلعة، ينالها من

يقدر على ثمنها ، أو يغليه ، والرغبة فى الاحتفاظ بالروابط الأسرية وعدم الاعتداء عليها .

كذلك نصح الرسول المرأة أن تحرص على أختها المرأة حرصها على نفسها ، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها ؛ لتستفرغ صحفتها ، فإنما لها ما قدر لها[1] » (أخرجه البخارى) . والمعنى يحتمل النهى عن أن تسأل الزوجة زوجها أن يطلق ضرتها لتنفرد هى به ، ويحتمل النهى عن أن تشترط المرأة المخطوبة أن يطلق الخاطب زوجته السابقة قبل أن يبنى بالخطيبة ، ويحتمل النهى عن أن تطلب المرأة الأجنبية من رجل أن يطلق زوجته لتتزوجه . وأيا كان فالحديث حريص على استقرار البيوت ، وعلى إبعاد عوامل التفكك والتمزق عنها .

وذهب الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى أبعد من هذا ، فطلب إلى الرجال فى حجة الوداع أن يستوصوا بالنساء خيراً ، وكان مما قال : « واستوصوا بالنساء خيرا ؛ فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً » ؛ فهذه وصية إلى الرجال بسياسة النساء ، والصبر على ما يرون منهن من العوج ، بحكم طبيعتهن البشرية ، ولما كان الرجل لا غنى له عن المرأة التى يسكن إليها ويستعين بها على معاشه عليه أن يحسن معاملتها ، وأن يسلك إلى ذلك كل سبيل من سبل الملاينة والتغافل وأن يحلم عند غضبها ،

---

(١) واستفراغ الصحفة طلب فراغها ، والصحفة إناء الطعام ، وهذه استعارة تمثيلية ، شبهت الهيئة الحاصلة من الزوجة والحظوظ الواردة عليها وإبعاد الزوجة عنها بسبب الطلاق المطلوب بالهيئة الحاصلة من الإناء والأطعمة التى فيه وتفريغ الإناء من هذه الأطعمة ، واستعير التركيب الدال على المشبه به وهو قوله (تستفرغ صحفتها) للدلالة على المشبه وهو سؤال المرأة طلاق أختها .

ولا يلجئها بقسوته وشدته إلى أن تركب رأسها وتشرع لسانها ، فتحطمه وتتحطم معه كما يتحطم الضلع الأعوج .

وليكن الرجل فى رسول الله أسوة حسنة . روت السيدة عائشة قالت: « قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت على غضبى ! فقلت : من أين تعرف ذلك؟ فقال : أما إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت على غضبى قلت : لا ، ورب إبراهيم . قلت: أجل . والله ما أهجر إلا اسمك » (أخرجه البخارى) . فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يصرح لزوجته بما يعلم من أمر رضاها وما يعرف من أمر غضبها وغيرتها . عتاب فى غاية من الظرف والأدب ، مصحوب بهذه الملاطفة التى لابد من مثلها بين الرجل وامرأته ، وهى تجيبه جوابا فى غاية من اللباقة والذكاء ، تعتذر إليه بالغيرة التى تسلبها ـ وأمثالها ـ رشدها ، لكنها حرصت على إبداء ما تمكنه لزوجها من المحبة التى تستغرقها، فهى باعترافها لم تهجر إلا اسمه الشريف ، هجرانا لم يجاوز منطق لسانها .

٥ — شئون الأسرة :

روى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين ؛ تربت يداك »[1] (أخرجه البخارى) .

أخبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن العادة جرت على أن الذى يرغب الرجل فى المرأة هذه الخصال الأربع ، فمن الرجال من ينظر إلى غنى

---

(١) عبارة (تربت يداك) جارية على الألسنة مقصود منها الحث على الشىء ، وقيل : المعنى تربت يداك أى افتقرتا والصقتا بالتراب إن خالفت هذا الأمر .

زوجته عسى أن يعود عليه وعلى أولاده منه شيء ، ومنهم من ينظر إلى حسبها ومجادة أهلها وعلوهم فى الهيئة الاجتماعية حتى يكون له من ذلك جاه ، ومنهم من ينظر إلى جمال المرأة ليستمتع به ويسر منه ، ومنهم من ينشد خلقها القويم وطبعها النبيل . وبعد هذا الإخبار أراد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدل الرجل على أعظم هذه الخصال شأنا وأسماها قدراً ، فأرشده إلى ذات الدين ، ودعاه إلى أن يكون حريصاً على أن يظفر بها ، ويجعلها مطلوبه ومرغوبه ، فتلك هى المرأة الصالحة ، التى ينتظر منها رعاية حق الزوج وحق الولد . وليس يمنع هذا من أن ينظر الرجل الخصال الأخر ، لكن عليه أن يجعل الصلاح والخلق الحسن فى مقدمة الخصال التى ينشدها فى شريكة حياته، فإن ذات المال ـ إن لم تكن صالحة ـ قد يطغيها مالها وتستذل به رجلها ، وذات الحسب ـ إذا لم تكن على خلق قويم ـ قد تتعالى على زوجها وتعامله فى صلف وغرور ، وذات الجمال ـ إذا لم تكن مهذبة ـ قد تزهى بجمالها ويكلفها العجب به تعاسة زوجها وبيتها .

ورعاية للواجبات الاجتماعية الملقاة على الرجل والمرأة كليهما حملهما الرسول تبعة هذه الواجبات . عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: « ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم . . الحديث » (أخرجه الشيخان والترمذى) .

والرجل العاقل الراشد يكون حسن العشرة ، ويقوم بحق بيته من الرعاية والنفقة . ويشرف على تربية أولاده وتأديبهم وإرشادهم وتنشئتهم على مكارم الأخلاق . والمرأة العاقلة الراشدة تكون جميلة العشرة ، وتقوم بحق زوجها من الرعاية والتدبير ، وحفظه فى غيبه ، وتحبب إليه المقام فى بيته فلا يهجره

إلى خارجه ، وتسهم فى تربية الأولاد وإعدادهم - بنين وبنات - لمواجهة أعباء الحياة ، والتمرس بها .

وقد حرص الرسول الكريم على أن تكون الصلة بين الزوجين أمتن ما تكون، لاتشوبها شائبة تكدر صفوها؛ روى أبو هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه »، أى لا يحل لها أن تصوم صيام تطوع أو صياما يجب على التراخى (١) إلا بإذن من زوجها ، ولا يحل لها أن تسمح لأحد بدخول بيته إلا بإذن منه. وما هذا وذاك إلا للرغبة فى أن تكون الزوجة فى نضارتها وقدرتها على أداء واجباتها المنزلية على النحو الذى يرضى عنه الزوج ولا ينغص عليه ، كذلك على المرأة أن تحترم مشاعر زوجها فلا تأذن بزيارة أحد لم يصدر لها إذنه - بالقول أو الرضا أو العرف - وقاية للبيت من الشقاق ، وحتى لا يكون الأمر مثار نزاعهما .

ولئن كان الرسول قد أعظم من حق الزوج على زوجته لقد أعظم فى حديث آخر من حق الزوجة على زوجها ؛ عن الأسود بن يزيد . قال : «سئلت عائشة - رضى الله عنها - ما كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يصنع فى بيته ؟ قالت: كان يكون فى مهنة أهله - تعنى خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» (أخرجه البخارى) . فهذا هو يضع القدوة للمسلمين أن يكون الرجل منهم فى خدمة أهله ما استطاع ، لقد كان الرسول يعاون أهله فى شئون البيت ، يخيط الثوب ، ويخصف النعل ، ويحلب الشاة - وردت بذلك الأخبار - ولم يترفع عن القيام بالعمل المنزلى والمساعدة فيه ، متى كان ذلك ممكناً ، وبحيث لا يشغل به عن حق الله والمجتمع عليه .

---

(١) أى فيما عدا صيام شهر رمضان وبعض الكفارات .

وهكذا ينبغى أن يكون الرجل العاقل الراشد فى بيته ، وليكن هو وزوجته مثلا طيباً للبنات والأبناء .

٦ — بر الأقارب :

أرشد الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى بر الأقارب ، وصلة العشيرة، ورعاية الرحم . وأقرب هؤلاء وأحقهم بالرعاية والبر هذه الأم ، التى تحملت متاعب الحمل ، ومشاق الوضع والرضاع والتربية ، وسهرت الليالى الطوال إلى جوار وليدها ، تحوطه وتصونه وتدرأ عنه ، ثم هذا الأب الذى كافح فى سبيل القوت وتوفير الرزق . عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « جاء رجل إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : يارسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : أمك . قال : ثم من . قال :أمك ؟ قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال ثم من ؟ قال : أبوك » (أخرجه الشيخان) .

وللوالدين هذه الحقوق فى حياتهما ، وبعد وفاتهما على الولد أن يدعو لهما بالخير وطلب الرحمة ، ويستغفر لهما ، ويمضى ماأمرا من عهد أو وصية ، ويصل قرابتهما ، ويكرم صديقهما . روى أبوداود والبيهقى : « جاء رجل من بنى سلمة ، فقال : يارسول الله ؛ هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم. الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه » .

وبعد الأبوين على المسلم أن يبر أقاربه ، من إخوة وأخوات ، وأعمام وعمات ، وأخوال وخالات ، وسائر من يتصل من أبويه بنسب أو قربى ؛

روى أبو داود: «قيل : يارسول الله ؛ من أبر ؟ قال: أمك ، وأباك ، وأختك ، وأخاك ، ومولاك الذى يلى ذلك . حق واجب ، ورحم موصولة » . والمولى الذى يلى ذلك هو القريب الذى تأتى قرابته بعد هؤلاء المذكورين .

وبشر الرسول - صلى الله عليه وسلم - من يود أقاربه ويصل رحمه ببسطة فى الرزق ، وامتداد فى الأجل ، وبركة فى العمل ، فقال: « من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه » .

وجعل الرسول - عليه الصلاة والسلام - عقوق الوالدين من أكبر الكبائر ، نظير الشرك بالله ونظير قول الزور . روى الشيخان أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؛ الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور » . كما جعل الرسول من أكبر الكبائر أن يتسبب الإنسان بمهاتراته فى سب أبويه ؛ عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه! قيل: يارسول الله ، وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل؛ فيسب أباه ، ويسب أمه ؛ فيسب أمه » (أخرجه البخارى) .

وكان هذا العمل من أكبر الكبائر ؛ لأن المرء بمثل هذا التصرف يكفر حقوق أبويه ، ويقابل إحسانهما بمساءة سبهما ، ولما كان هذا فظيعا فى التصور جاء سؤال السائل على الاستبعاد (كيف يلعن الرجل والديه ؟!) ، فأبان الرسول كيف يرتكب هذا الجرم .

٧ — التعاطف الاجتماعى :

المجتمع الإسلامى مجتمع متماسك - أو يجب أن يكون مجتمعاً متماسكا - بسبب الأخوة التى فرضها الإسلام على المؤمنين ، والتى توجب عليهم أن يتراحموا ، ويتوادوا ، ويتعاطفوا ، ويأخذوا بالأسباب التى تعينهم على ذلك ،

مثل التزاور ، والتهادى ، وأن يعين بعضهم بعضا ، وأن يشعر كل بشعور الآخرين ، ومن هنا يجد الفرح من يهنئه ، والمكروب من يواسيه ، والمريض من يعوده ، والمسافر من يودعه ، والغائب من يسأل عنه . عن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » ، فالمؤمنون فى تعلق بعضهم ببعض أشبه بالجسد الذى يرتبط كل عضو فيه بالآخر ، فإذا أصيب عضو تأثرت بإصابته بقية الأعضاء ، وتداعت إلى دفع المكروه الطارىء ، وما تزال الأعضاء تقاوم حتى يسلم الجسم كله ، ويصح . وكذلك أمة الإسلام .

ويضع الرسول الإنسانى المسلمين أمام واجبهم الإنسانى ، فينفى الإيمان الكامل عمن لا يحب لأخيه مثلما يحب لنفسه ؛ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (أخرجه الشيخان) فالرسول يؤدب أمته على الإيثار وحب الخير ، وينتزع من نفوس أفرادها دواعى الأثرة والأنانية والحسد البغيض .

وهذه الأخوة تقضى أن ينصف المسلم أخاه المسلم من نفسه ومن غيره ، فهو ينصره ولا يظلمه ، وهو يقف إلى جواره فى الشدائد ولا يخذله ، وهو لا يتركه لعدو ، أو جائر ، ولا يدعه يقع فريسة مرض ، أو مجاعة ، أو آفة ، أو كارثة ، دون أن يأخذ بيده ويحاول تفريج كرباته والسعى فى قضاء حاجاته . ثم عليه بعد ذلك أن يستر ما قد يعرف من عيوبه وزلاته الخاصة التى لا يتعلق بها حق الغير أو المجتمع أو الأمة ، ولا يذيعها بين الناس . عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يشتمه (وفى رواية ابن عمر : « لا يظلمه ، ولا يسلمه ») ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة » (أخرجه الشيخان) .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولاتدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم ،لايظلمه ، ولا يخذله،ولا يكذبه،ولايحقره .التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره، ثلاث مرات ـ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » (أخرجه مسلم) . فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينهى عن التحاسد . وينهى عن التناجش أى التزايد فى ثمن السلعة دون قصد شرائها بغرض خداع الغير وغشه وإغرائه بها ، وينهى عن التباغض والكراهية ، وينهى عن التدابر والخصام . وينهى عن أن يبيع الواحد على بيع أخيه الإنسان ، وصورته أن يبيع أخوه شيئاً فيأمر هو المشترى بفسخ العقد ليبيعه هو مثله بأقل من الثمن الذى ارتضاه أو ليبيعه أحسن منه بهذا الثمن ، أو يأمر البائع بفسخ العقد ليشترى منه السلعة بثمن أغلى .

والقصد من ذلك كله هو الوفاء للأخوة البشرية ، وألاتسمح نفس المسلم بالغدر على أى وجه من الوجوه . وإنه ليكفى المسلم أن يدرك معنى قول الرسول فى آخر الحديث : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » ، فلايعود يتطلع إلى أخيه بقصد إيذائه فى نفسه أوماله أوعرضه ، وإنما يحافظ عليها محافظته على نظائرها لديه .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث . ولاتجسسوا ، ولاتحسسوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا » (أخرجه البخارى) .

يحذرنا الرسول الكريم من الظن واتهام الناس بغير دليل فإنه من أحاديث النفس المكذوبة وهواجسها الممقوتة،وينهانا عن التجسس والتحسس أى

البحث عن مساوىء الناس وتتبع عوراتهم لكشفها (١) ، وينهانا عن الحسد وتمنى زوال النعمة عن الغير ، وينهانا عن التدابر والتخاصم والتباغض ؛ فكل أولئك جرائم اجتماعية ، لا تتفق مع خلق المسلم المأمور بأن يكون مع أبناء أمته المسلمة إخوانا متحابين متآلفين ؛ لأنهم جميعا متساوون فى عبوديتهم لله — سبحانه وتعالى .

٨ — العلاقات العامة :

باب العلاقات العامة باب واسع ، يلج منه المسلمون على خير كثير ، إذا اهتدوا بهدى الرسول ، وأدركوا ماترمى إليه الأحاديث الكثيرة التى تناولت علاقات الناس بعضهم مع بعض ، وما ينبغى أن يتوخوه من أسباب التودد والتواصل .

أرشد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى إفشاء السلام ـ كوسيلة للتحاب والتآلف ـ على من عرفت ومن لم تعرف . عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ « أن رجلا سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام ، على من عرفت ، وعلى من لم تعرف » (أخرجه البخارى) ، وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؛ أفشوا السلام بينكم »

---

(١) التجسس بالجيم والتحسس بالحاء كلاهما بمعنى ، وقيل : الأول من الجس وهو اختبار الشىء باليد والثانى من الحس وهو إدراك الشىء بإحدى الحواس الخمس فيكون من عطف العام على الخاص (وفى بعض الروايات ورد التجسس بعد التحسس فيكون من عطف الخاص على العام) . وقيل التجسس أن تبحث عن العيوب لأجل غيرك والتحسس أن تبحث عنها لأجل نفسك .

(أخرجه مسلم) . وفى أحاديث أخر رواها البخارى وغيره عن أبى هريرة وغيره نظم الرسول طريقة السلام وأى الناس يبدأ به ، ويمكن جمعها فى هذه العبارة (يسلم الصغير على الكبير ، والقليل على الكثير ، والمار على القاعد ، والراكب على الماشى) ، وأيا كان الأمر فخير الناس ـ فى نظرى ـ من يبدأ بالسلام ؛ لأنه يقوم بالسنة الرشيدة . أما رد السلام فهو واجب ؛ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » (أخرجه الشيخان) .

وفى هذا الحديث جعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمسلم على المسلم حق عيادته إذا مرض ، واتباع جنازته إذا مات ، وإجابة دعوته إذا دعا ، وتشميته إذا عطس . والتشميت أن تدعو له بالرحمة إذا أدركت أنه حمد الله إثر عطاسه ، اتباعا لسنة الرسول فى هذا . عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : « عطس رجلان عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فشمت أحدهما ، ولم يشمت الآخر . فقيل له . فقال : هذا حمد الله ، وهذا لم يحمده » . فهذه الدعوة بالرحمة تحية للعاطس الحامد ، ولهذا يجب على العاطس أن يرد هذه التحية بمثلها أو بأحسن منها ، فيقول لمن شمته وحياه : (يهديكم الله ويصلح بالكم) كما فى حديث أبى هريرة ، أو يقول له : (يغفر الله لنا ولكم) كما فى حديثى ابن مسعود وابن عمر ، أو يجمع بينهما إن أراد . وفى ذلك كله حسن الأدب ومكارم الأخلاق (١) .

وعلى المسلم أن يلقى الناس بالبشاشة وبوجه طلق ، إذ لا مبرر لأن يتجهم لهم ، فهذه البشاشة من المعروف . يروى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) العطاس لمرة أو مرتين ينشأ من خفة البدن ونشاطه ولذا يشمت العاطس فإذا تكرر فلا تشميت بعد الثالثة ، لأنه يكون ـ إذن ـ من مرض .

أنه قال : « كل معروف صدقة . وإن من المعروف أن تلق أخاك بوجه طلق » . والكلمة الطيبة معروف ، وثوابها كثواب الصدقة . عن سمرة بن جندب ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « أفضل الصدقة صدقة اللسان . قيل : يارسول الله ؛ وماصدقة اللسان ؟ . قال : الشفاعة تفك بها الأسير ، وتحقن بها الدم ، وتجر بها المعروف إلى أخيك ، وتدفع عنه كربته » (أخرجه الطبرانى) . والفضل إنما جاء من استعمال هذا اللسان فى جلب المنفعة للأخ المسلم أو دفع الضر عنه ، ومانظن أن هناك ماهو أعظم من طلب الحرية لمن يحتاج إليها ، ومن حقن الدماء بين الناس وإزالة أسباب غضبهم ونفورهم ، ومن جلب المعروف إليهم ، ومن دفع الكرب والمكاره عنهم .

ومن الأدب النبوى إعطاء الطريق حقه . عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إياكم والجلوس بالطرقات . فقالوا : يارسول الله ؛ مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها . فقال : فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر » (أخرجه البخارى) .

ومن الأدب النبوى الاستئذان عند دخول البيوت وعدم دخولها إلا بإذن (١) . ففى ذلك رعاية لحرمات البيوت ، ودليل على نزاهة القصد ، مما يتيح الفرصة لاستقبال الزائر ، والائتناس به ، والانبساط له . عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » (أخرجه البخارى) ، فإذا ارتكب إنسان جريمة التطلع فى البيت جاز أن يؤدب . عن سهل بن سعد ـ رضى

---

(١) اقرأ فى سورة النور الآيات : ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٥٨ و ٥٩ .

الله عنه ـ قال : « اطلع رجل من جحر فى حجرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومع النبى مدرى (أى مشط) يحك به رأسه . فقال : لو أعلم أنك تنظر لطعنت به فى عينك . إنمـــا جعل الاستئذان من أجل البصر » (أخرجه البخارى) . ولو بلغ هذا التأديب مداه ما كان عليك منه جناح . عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لو اطلع فى بيتك أحد ولم تأذن له نخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح » (١) أى إثم ومؤاخذة ، لأنك إنما كنت ترد أذاه ، وتدافع عن حرمة بيتك ، وعرضك .

ومن الأدب النبوى أن الإنسان إذا دخل مجلسا قعد حيث انتهى به المجلس ، فلا يجوز له أن يقيم قاعدا ليجلس مكانه ، فإنما القاعد أحق بهذا المكان منه ، لكن يجب على الحضور أن يتوسعوا للوافد عليهم ، وأن يفسحوا له بينهم . عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » (أخرجه البخارى) . فهذا أدنى إلى تقوية الروابط الإنسانية ، واجتلاب المودة ، ودفع الضغن من النفوس .

ومن الأدب النبوى مراعاة مشاعر الناس ، بألا يأتى الإنسان فعلا أو يقول قولا يجرحهم أو يؤذيهم فى إحساسهم . وقد ضرب الرسول على ذلك مثالا ، لعله أهون مثال ، يمكن أن يقاس عليه ماعداه ، فقد روى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه ؛ فإن ذلك يحزنه » (أخرجه مسلم) ، ويقاس على الثلاثة الأكثر عددا ، ولكن المهم ألا

---

(١) خذفته بحصاة : رميته بها ، والخذف أن تجعل الحصاة بين إبهامك وسبابتك عند الرمى .

تترك الجماعة واحدا منها تنفرد بالنجوى من دونه ، لئلا يظن هذا الفرد فى نفسه الحقارة ، أو فى رفقائه أنهم يحتقرونه ، أو أنهم يريدون به شرا ، أو أنهم يدبرون أمرا ، وحتى لايدفعوه إلى أن يتربص بهم ، أو يتسمع عليهم ، فيلجئوه بهذا إلى فعل غير كريم .

ونحو من هذا الأدب فى تنظيم المجتمعات الصغيرة ـ كأنموذج لما يجب أن يكون تنظيم المجتمعات الأكبر ـ مانصح به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن تؤمر الجماعة ـ إذا كانت فى سفر ـ عليها واحدا منهم ، فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » (أخرجه أبو داود) ، وفى هذا النظام توحيد للكلمة ، إذ يقوم هذا الأمير بقيادة جماعته ، وتدبير أمرها ، وتحديد وجهتها ، والتحدث باسمها ، فيكفيها النزاع واختلاف الرأى وغير ذلك ، وفى هذا العمل مايشير إلى أنهم هم الذين يختارون أميرهم وينتخبونه ، لما يرون فيه من الصلاح لقيادتهم .

ومن الأدب النبوى رعاية الجار وإكرامه ، وحسن معاملته ، وعدم الإساءة إليه . عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مازال جبريل يوصينى بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه . (أخرجه الشيخان) ؛ لقد ظن الرسول ـ وحق له أن يظن ـ من كثرة ماأوصاه الوحى بالجار أنه سيجعل له نصيبا فى الميراث مثل نصيب الأقارب وفى حديث آخر : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره » (أخرجه البخارى) ، وفى حديث آخر : « والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن . فقيل له : من يارسول الله ؟ . فقال : الذى لايأمن جاره بوائقه » (أخرجه مسلم) ، والبوائق ألوان الشر والأذى والإساءة .

ومن الأدب النبوى إكرام الضيف .من حديث رواه أبو هريرة ـ رضى

الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » (أخرجه الشيخان) ، فالضيافة من آداب الإسلام ومن خصال النبيين والصالحين ، وهي دليل على الكرم وسماحة النفس .

ومن الأدب النبوى أن يكون المسلم حليما فلا يسرع الغضب إليه، وأن يتخذ من حلمه سلاحا لقهر نفسه ، حتى لا يبدو فظا غليظ القلب ، ويجعل من هذا الحلم أداة لكسر شوكة الثائرين ، بما يعاملهم به من اللين والحسنى . عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ « أن رجلا قال للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوصنى . قال : لا تغضب. فردد مرارا . قال : لا تغضب » (أخرجه البخارى) فإذا دفع المسلم إلى الغضب وخاصم أخاه وقاطعه ووقع بينهما النفور والتدابر فهناك فرصة ثلاثة أيام . عن أبي أيوب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال. يلتقيان ، فيعرض هذا ، ويعرض هذا . وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » (أخرجه الشيخان) ، فهذه المدة كفيلة بتهدئة الثائرة ، ومراجعة النفس ، وقهرها ، والتغلب على كبريائها ، وإزاحة العوائق من طريق الصفاء ، حتى تستأنف الصلة ، ويلتئم الشمل ، ويعود الوئام والسلام .

وليقرأ الناس جميعا هذا الحديث قراءة واعية ومتأنية :

عن أبي هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « إن الله عزوجل — يقول يوم القيامة : يا بن آدم ؛ مرضت فلم تعدنى ، قال يارب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ ! . قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؛ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده . يا بن آدم ؛ استطعمتك فلم تطعمنى ، قال : يارب ؛ كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ ! قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؛ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى . يا بن آدم ؛ استسقيتك فلم تسقنى ، قال : يارب ؛ كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ ! قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ؛ أما إنك لو أسقيته وجدت ذلك عندى » (أخرجه مسلم).

٩ — الرفق والرحمة والتواضع :

الأحاديث التى تدعو إلى الرفق والرحمة والتواضع كثيرة ، وكلها تعنى بغرس هذه الخصال الطيبة فى نفوس المسلمين . عن جرير بن عبد الله -رضى الله عنه - أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم - قال : « من لايرحم الناس لايرحمه الله » (أخرجه الشيخان) ، فرحمة بعضنا بعضاً سبب لرحمة الله بنا ، فجزاؤنا عند الله من جنس أعمالنا . وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الرفق لايكون فى شىء إلا زانه ، ولا ينزع من شىء إلا شانه » (أخرجه مسلم) ؛ فالرفق يزين كل شىء يكون فيه ، ويساعد على التروية فى التفكير ، وعلى التبصر فى عواقب الأمور ، ويزرع الرحمة ، ويبذر المحبة ، فيكون حصاد الخير بإذن الله ، أما إذا نزع وحلت محله القسوة والغلظة والفظاظة فإنه لايؤمن التسرع فى الشىء والعجلة عنه مما يجعله مشينا معيبا ، لأن القسوة تورث الخصومة والعداء ، والغلظة تحمل على النفور والأذى ، والفظاظة تجلب المذمة والجفاء .

ويقول الرسول - من حديث رواه عنه أبو هريرة - : « وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » (أخرجه مسلم) . والمتواضع هو صاحب الجانب اللين ، الذى يخفض للناس جناحه ، ولا يتعالى عليهم ، ولا يتكبر ، وهو يفعل كل ذلك عن قدرة على قهر نفسه ، لا عن ضعف فيه . وإنما رفعه الله بتواضعه ، لأنه يأوى إلى ركن شديد ، وهو جانب الله - سبحانه وتعالى .

والإسلام يطلب الرحمة والرفق مع الناس ، ويطلبها مع الحيوان أيضا ؛ لأن الإسلام دين الرحمة العامة الشاملة ، فالرحمة مطلوبة فى كل شىء حتى فى ذبح الحيوان ، إذ ينبغى أن يتقن الذابح عملية الذبح ، ويسن شفرته ، ويريح ذبيحته عند الإجهاز عليها ، حتى لاتشعر بالعذاب الطويل . من حديث عن شداد بن أوس - رضى الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » (أخرجه مسلم) .

وفى أحاديث كثيرة نهى الرسول عن تعذيب الحيوان والتمثيل به ودعا على من يفعل ذلك باللعنة ، عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : « لعن النبى - صلى الله عليه وسلم - من مثل بالحيوان » (أخرجه البخارى) ، وروى عن ابن عمر أيضا أنه دخل على يحي بن سعيد فوجد غلاما من أهله يربط دجاجة وهو يرميها ، فحلها وقال للقوم : « ازجروا غلامكم عن أن يصبر هذا الطير للقتل ، فإنى سمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - ينهى أن تصبر بهيمة أو غيرها للقتل » (أخرجه البخارى) . وعن ابن عمر أيضا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها وسقتها إذ هى حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » (أخرجه الشيخان) .

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة فى النهى عن تعذيب الحيوان ، والتمثيل به ، والقسوة عليه ، وحرمانه من المطعم والمشرب .

وإذا كان هذا غير مستساغ من الكبار فمن الواجب عليهم ألا يدعوا الصغار يرتكبون هذه الحماقات ، ولو على سبيل اللعب واللهو ، حتى لا يشبوا غلاظ الأكباد ، قساة القلوب . وليعلم الكبار والصغار أن الله لا يضيع أجر معروف يبذله الواحد منهم ، ولو بذله لكلب . عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها ، فشرب ، ثم خرج ، فإذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر ، فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له . قالوا : يارسول الله : وإن لنا فى البهائم أجرا ؟ . فقال : نعم. فى كل ذات كبد رطبة أجر » (أخرجه البخارى) .

والخادم ـ أو التابع ـ ينبغى أن نحسن معاملته ، نطعمه مما نطعم ، ونلبسه مما نلبس ، ولا نكلفه إلا مايطيق ، ولا نرهقه ، فإذا كلفناه أمرا أعناه عليه، وأشعرناه بالرضا والارتياح ، حتى يحسن عمله وخدمته . عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فى الخدم : « هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يد فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس . ولا تكلفوهم مايغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه » (أخرجه الشيخان وأبو داود) ، وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين ـ أو أكلة أو أكلتين ـ فإنه ولى علاجه » (أخرجه البخارى) فهذه دعوة من الرسول إلى إجلاس خادمك معك على المائدة ، فإن لم تفعل ذلك فلا أقل من أن تناوله من الطعام مايسد جوعه أو يشبع نظره على الأقل، ولاتدعه ينظر إليك وأنت تأكل وهو يشتهى ماتطعمه من هذا الطعام، الذى غالبا مايكون عالجه وطبخه ، فتعلقت به نفسه .

١٠ — الاتزان والاعتدال :

للمسلم أن يتمتع بالأنواع المباحة من المأكل والمشرب والملبس والزينة، لكن مع الاعتدال ، فلا يجاوز فى متعته بها حاجته ، ولايميل فى تعاطيها إلى جانب المغالاة والإسراف والإفراط ، كما لايحرم نفسه منها حرمانا يسمه بالشح والبخل والإمساك ، وإنما السلامة فى الاعتدال والتوسط . قال ـ تعالى ـ : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولاتبسطها كل البسط ، فتقعد ملوما محسورا » (الإسراء ٢٩) ، ومدح الله عباده ـ عباد الرحمان ـ فكان مما قال فيهم : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (الفرقان ٦٧) .

وتناول حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسائل كثيرة ، حبب فيها الاتزان والاعتدال :

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « كل ، واشرب ، والبس ، وتصدق ؛ فى غير سرف ولا مخيلة »[1] . ففى السرف ضرر الجسم والصحة ، وإهلاك المال وتبديده ، وبالزهو والخيلاء يبدو المسلم فى غير سمته من التواضع والاعتدال ، وقد يركبه الصلف والغرور ، فيمسك عن الجادة ، وينصرف عن الحق ؛ ويدنو من الظلم : ظلم نفسه وظلم الناس .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه . بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه . فإن كان لامحالة فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

فالبطنة شر ، من ورائها الخمول والكسل والعجز عن هضم الطعام ، ومن ثم المرض والسمنة المهلكة ، لذا ينصح الرسول بالاعتدال فيما يملأ البطن من الطعام والشراب ، حتى تتحقق منه الفائدة .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » ، وقال : « ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه . ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » . فالرسول يوقظ فى المسلم روح العمل لطلب الدنيا إلى جانب نشاطه لإقامة الدين ، عملا بقوله ـ تعالى ـ : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا . وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين » (القصص ٧٧) ؛ لأن الرسول أدرك أن الإنسان

---

(١) السرف : الإسراف . والمخيلة : الخيلاء والزهو والكبر وحب الظهور .

فى هذا العالم المادى لايستطيع أن يبلغ درجة الكمال الروحى إلا إذا أمن غوائل الحاجة ، وهى لاتؤمن إلا بالعمل للدنيا ، وكلما زاد أمنا من هذه الناحية زاد نشاطه الروحى ، فأشاد الرسول بثواب العمل للدنيا إشادته بثواب العمل للآخرة ؛ دفعا للمسلم أن يطلب مقومات الحياة التى يحياها ، والحياة التى يرجوها (١) .

ويروى سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - قال : « مرضت عام الفتح مرضا أشفيت منه على الموت ، فأتانى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعودنى ، فقلت : يارسول الله ؛ إن لى مالا كثيرا ، وإنى أورث كلالة ، أفأوصى بمالى كله ؟ . قال : لا . قلت : فالشطر ؟ . قال : لا . قلت : فالثلث؟ قال : الثلث ، والثلث كثير ؛ إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس . إنك ولن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها ، حتى اللقمة تضعها إلى فى امرأتك » (٢) (أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائى والترمذى) . فسعد بن أبى وقاص كان غنيا ، وأراد أن يوصى بماله كله ، فراجعه الرسول فى ذلك حتى سمح له بالوصية بثلث ماله ، وحرص

---

(١) محمد فريد وجدى : مقال (صاحب رسالة الإسلام تحت ضوء المقررات النفسية الحديثة - طلب الدنيا فريضة على كل مسلم)ص ٢٩٤ من كتاب (دعوة التقريب من خلال رسالة الإسلام) - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م .

(٢) أشفيت على الموت : أشرفت عليه . يعودنى: يزورنى فى مرضى . أورث كلالة : أى عندما أموت لا يوجد والد ولا ولد يرثنى (وسعد يقول هذا فى السنة الثامنة للهجرة ولم يكن له أولاد، ولكنه عاش إلى سنة ٥٥هـ وتوفى عن اثنى عشرة بنتا وبضعة عشر ابنا) . الشطر : النصف . تدع : تترك . عالة : محتاجين فقراء . يتكففون الناس : يمدون إليهم أكفهم بالسؤال . تبتغى بها وجه الله : تطلب بها ثواب الله . فى امرأتك : فمها .

الرسول - عليه الصلاة والسلام - على أن يبين له أن مايتركه لورثته من مال فيه غناء لهم ، فهم يفيدون منه ، ويصرفهم عن أن يمدوا أكفهم إلى الناس بالسؤال . وفى الوقت نفسه ترك الرسول له جانبا من ماله يوصى به ، فيبر به من يرغب فى برهم ، ممن يرى استحقاقهم لمعروفه وصلته .

١١ - السعى والعمل :

عن المقدام بن معديكرب - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده؛ وإن نبى الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده ».وفى هذا الحديث أبان الرسول أن خير الرزق ما كان من عمل اليد ، أى ما كان سبيله النشاط والتحصيل والجد ، وقد صوره فى صورة الأكل لأنه أساس المعيشة ، وعلى غراره سائر الأمور من المشرب والملبس والمتاع وغيرها مما يطلب فى هذه الدنيا ويبتغى . وضرب الرسول المثل بنبى الله داود ، كان ملكا فى قومه ، ذا سلطان عريض ، وسخر الله له الجبال والطير والحديد ، قال - تعالى - : « ولقد آتينا داود منا فضلا ؛ ياجبال أوبى معه ، والطير ، وألنا له الحديد * أن اعمل سابغات ، وقدر فى السرد ، واعملوا صالحا ، إنى بما تعملون بصير » (سبأ ١٠و١١) ،ومع ذلك كان يتخذ من الحديد الذى ألين له دروعاً يصنعها لقومه ، ويبيعها إياهم ، ويكسب منها لقوته وقوت أهله ، غير مستنكف ولا متواكل ، إذ لم يشأ أن ينزع إلى الراحة ، أو يغتر بسلطانه أو يركن إلى جاهه .

وعن الزبير بن العوام - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيأتى بحزمة حطب ، فيبيعها ، فيكف بها وجهه - خير له من أن يسأل الناس ؛ أعطوه ، أومنعوه » (أخرجه البخارى)

أوضح الرسول أن تحصيل الرزق - مهما كان قليلا ، ومهما كانت وسيلته ولو عن طريق الاحتطاب - فيه الاحتفاظ بكرامة النفس ، وفيه الاستغناء عما فى أيدى الناس ، بينما المذلة والمهانة فى سؤالهم والنظر إلى مافى أيديهم . « ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله (١) » ، أى من يمتنع عن المسألة ، فلا يتطلع إلى صدقات الناس استعفافا، يرزقه الله العفة والقناعة والرضا بما قسم له ، ومن يستغن عن سؤال الناس يفتح الله عليه من باب فضله مايجعله فى غنى عنهم ؛ لأنهم لا يعطونه - مهما أعطوه - إلا قليلا لا يغنيه .

١٢ — الاستقامة :

عن سفيان بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : « قلت : يارسول الله ، قل لى فى الإسلام قولا ، لا أسأل عنه أحدا غيرك . قال : قل : آمنت بالله ، ثم استقم » (أخرجه مسلم) . وفى الاستقامة بركة وخير كثير ، لأنها علامة الإيمان القار ، واليقين الثابت فى القلب . والاستقامة (٢) : ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات . قال - تعالى - : « إن الذين قالوا : ربنا الله، ثم استقاموا - تتنزل عليهم الملائكة : ألا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ❁ نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة ، ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ، ولكم فيها ماتدعون ❁ نزلا من غفور رحيم ❁ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال : إننى من المسلمين » (فصلت ٣٠-٣٣) .

ولعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - يضع أمامنا مثلا طيبة من الصالحين

---

(١) جزء من حديث نبوى شريف أخرجه البخارى .
(٢) شرح الأربعين النووية .

ذوى الاستقامة فى حديثه الشريف : « سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظله يوم لاظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل ذكر الله فى خلاء ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق فى المسجد ، ورجلان تحابا فى الله ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمـــال فقال : إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجـل تصدق فأخفاها حتى لاتعـلم شماله ما صنعت يمينه » (أخرجه البخارى) .

فالحاكم بعدله سبيل إلى استقرار الأمور ، وحصول كل ذى حق على حقه ، وانصراف الناس إلى أعمالهم مطمئنين آمنين .

والشاب بعبادته يظهر قدرته على قهر نفسه الأمارة بالسوء.فهو ينصرف إلى الله ، مقبلا على طاعته .

والرجل بذكره الله يعطينا مثلا مما يجب أن يـكون عليه الإنسان من التفكر فى قدرة الله وعظمته وبديع صنعه ، ومايبنغى أن تكون عليه محاسبة النفس وخشية الله .

والمتعلق قلبه بالمسجد يعطينا مثلا من الصلاح والتقوى واعتياد الطاعة.

والمحب حبا خالصا لله يرينا أنموذجا لما يجب أن تسمو إليه العلاقة بين الناس ، وقيامها على المودة خالصة لله ، حتى تدوم وتبقى ، ولا تـكون خاضعة لأهواء النفوس وشهواتها ، أو أغراض الدنيا ، ومنافعها القصيرة المدى ، فربما جرت على أصحابها مايسوءهم ويسىء إليهم .

والعف عن أن ينال عرضا محرما قد استيقظ ضميره ، وارتفعت نفسه اللوامة إلى درجة الخوف من عاقبة الفجور وارتكاب الإثم .

والمتصدق فى الخفاء الذى يبالغ فى إخفاء صدقته حتى يتصور أن يده

اليسرى لاتعرف مقدار ماتتصدق به يمناه ، إنما يأتى بصدقته خالصة لوجه الله - تعالى - بدليل أنه أخلاها من الإعلان عنها ، ومن الرياء وطلب السمعة .

١٣ — تربية الضمير :

هذا باب واسع ، للحديث فيه أكثر من مجال ، ويمكن أن يدخل فيه كثير من الأحاديث التى سبق بيانها وكثير من الأحاديث التى يأتى بيانها ، ونقتصر على أمثلة نراها أوضح فى تكوين ذاتية المسلم ، وخلق الوازع فى نفسه ، وإيقاظ عنصر المراقبة والمحاسبة لسلوكه ، وفى النهاية تقوية شخصيته وتربية ضميره .

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أوامرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه » (أخرجه الشيخان) فحيث صلحت النية صلح العمل ، وحيث فسدت النية فسد العمل ، وإذاوجد العمل واقترنت به النية فله ثلاث أحوال : الأولى أن يفعل ذلك خوفا من الله وهذه عبادة العبيد ، والثانية أن يفعل ذلك لطلب الجنة والثواب وهذه عبادة التجار ، والثالثة أن يفعل ذلك حياء من الله وتأدية لحق العبودية له - تعالى - وأداء للشكر والثناء عليه ، ويرى نفسه مع ذلك مقصرا ، ويكون مع ذلك قلبه خائفا ؛ لأنه لايرى أقبل عمله أم لم يقبل ، وهذه عبادة الأحرار (١) .

وعن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « الكيّس من دان

(١) انظر شرح الأربعين النووية .

نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني ، (أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه) . جعل الرسول الناس صنفين : الكيس أى العاقل الحازم الذى يدين نفسه أى يحاسبها ويراقبها ، فيتروى فيما يأتى وفيما يدع ، واضعا نصب عينيه أنه محاسب بعد الموت على مااقترف فى دنياه ، حتى يستبين له الرشد من الغى ، فإذا مضى فى عمل مضى فيه راشدا ، مطمئنا إلى سلامة تصرفه ، وإلى أنه مرضى عنه . والصنف الآخر العاجز ، الذى أتبع نفسه هواها ، فتسلطت نفسه عليه ، وخضع هو لها ، فغلبته على أمره ، وزينت له ، ووسوست ، فانصرف عن الرشد ، وأخطأ طريق الهدى ، ثم جعل يتمنى على الله الأمانى ، ويقول : إن رحمة الله واسعة وإننى أذنب اليوم وأتوب غدا ، ويأتى الغد فيحيل على مابعده ، وهكذا ، حتى تنقضى الأيام وتذهب السنوات ويضيع العمر ، وقد عميت بصيرته ، وركبته شهواته ، وأصبح عاجزا .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير . احرص على ماينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله ، وما شاء فعل ، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان » (أخرجه مسلم) . فالمؤمن القوى الإيمان يواجه الحياة بشجاعة ورباطة جأش ، ولا يعرف اليأس سبيلا إلى فؤاده . وعوامل القوة أربعة ، أشار إليها باقى الحديث :

العامل الأول : الحرص على النافع ، وهو يدفع إلى تلبية داعى الدين والحق والواجب والوطن ، وإلى الإسهام فى شئون المجتمع بما يرقى به ، وإلى المنافسة فى أعمال البر ، والأخذ بيد الإنسانية المعذبة .

والعامل الثانى : الاستعانة بالله ، وهى تقتضى استلهام الله ، وطلب التوفيق

منه ، والتوكل عليه ، واليقين بأن كل شىء بأمره ، والعلم بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك .

والعامل الثالث : عدم العجز ، وهو يثمر القوة ، والعزم ، والرغبة فى الثبات ، والصبر الجميل ، ويساعد على شحذ الذهن ، وكد الخاطر ، وفتق الحيلة ، وإعمال الإرادة .

والعامل الرابع : عدم التردد ، أوعدم الندم ؛ فإن التردد أو الندم سبيل إلى السخط والوهن واليأس ، ويجعل الإنسان يستقبل من أمره مايستدبر ، فيقف حيث هو ، أو يرتد إلى الوراء وهو يقول : لو أنى فعلت كذا كان كذا ، فييئس من رحمة الله ، ويسخط على قدره ، ويهن لما أصابه ، ويفتح للشيطان مسالك ، ينفذ منها إلى قاع نفسه ، فيفسد عليه أمره ، ويسلمه إلى الخور ، وربما إلى الكفر . وخير من هذا أن يؤمن بقدر الله ومشيئته ، وليقرأ قوله ـ تعالى ـ : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها . إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على مافاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم . والله لايحب كل مختال فخور » (الحديد ٢٢ و ٢٣) .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » (أخرجه البخارى) ، وهذا حديث يرشد فيه الرسول إلى أن يكون المؤمن كيسا فطنا ، يعتبر بالماضى ، ويتخذ منه عبرة لمواجهة واقعه ، وعظة ينتفع بها فى مستقبله ، فالإسلام يأبى أن يعيش المسلم فى غفلة ، لايفيد من تجاريب الحياة (١) .

---

(١) شرح هذا الحديث فى كتابنا (فى رحاب الهدى النبوى) ص ٩٥ .

وعن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « لا يكن أحدكم إمعة ؛ يقول : أنا مع الناس ؛ إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت . ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » (أخرجه الترمذى) . والإمعة الذى لا رأى له فهو يتابع كل أحد على رأيه، أى كما وصفه الرسول (يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت) ، وصاحب هذه الصفة لا تتميز له شخصية ؛ لأنه يعيش إنسانا هينا تافها ، وظلا لغيره ومقلدا له ، وليس هذا من الإسلام فى شيء ؛ ولذا جاء نهى النبى صريحا عن أن يكون المسلم ذاك الإنسان وعلى تلك الصفة ، إذ لابد أن يكون للمسلم رأى ، وأن يكون إيجابيا فى الحياة لا سلبيا ، فإذا وجد الناس يحسنون أحسن لا تبعا لإحسانهم وإنما إحسانا مثل إحسانهم ، وإن وجدهم أساءوا اجتنب مثل مساءاتهم ، فهو مأمور بأن يعمل عقله وتفكيره ، وأن يستقل برأيه ، وألا يتبع كل ناعق .

وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه » (أخرجه الترمذى) ، فينهى الرسول نهيا مؤكدا عن أن تكون هيبة الناس سببا فى أن يمتنع المسلم عن قالة الحق ؛ لأن الحق أحق أن يتبع ، ولا ينبغى للمسلم أن يكتم هذا الحق ؛ خوف الناس واتقاءهم ، أو مصانعة ومجاملة ، أو لأى غرض من أغراض الدنيا . قال ـ تعالى ـ : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » (البقرة ٤٢) ، وقال : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » (آل عمران ٧١) وقال : « ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » (المائدة ٤٨) ، وقال : « والله لا يستحيي من الحق » (الأحزاب ٥٣) .

وعن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه . قالوا : وكيف يذل نفسه ؟ . قال :

يتعرض من البلاء لما لا يطيق » (أخرجه الترمذى) . فالرسول ينصح المؤمن بألا يكون سببا فى إذلال نفسه أو جلب المهانة لها ؛ بما قد يرتكبه من حماقات تظهره بين الناس بمظهر المغرور أو التافه ، وذلك حين لا يعرف قدر نفسه فيكلفها مالا تطيق ويحملها ما تنوء به . ثم ينكشف أمره ، ويفتضح غروره ، ويعلم الناس تفاهته ، فيصاب بالخزى ، وهذا هو إذلاله لنفسه .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم » (أخرجه مسلم) . يرشد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ المسلم إلى أنه إذا اعتراه الملل أو القلق ، أو حدثته نفسه بما رزقه من مال أو ولد أو جمال أو أى شىء من زينة الحياة الدنيا فرأى نفسه أقل من غيره فيها ـ فعليه أن يعالج هذه الحال بالنظر إلى من هو أدنى منه نصيباً ، فهذا أجدر أن يمنعه من ازدراء نعمة الله عليه ، واحتقار شأنها ، فيقنع بما أوتى ، ويغتبط لما أعطى ، ويحمد الله على ما أنعم به عليه ، مهما كان قليلا فى ذاته .

وعن جندب بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح ، فجزع ، فأخذ سكينا ، فحز بها يده ، فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله ـ تعالى : بادرنى عبدى بنفسه ؛ حرمت عليه الجنة » . فالرسول يحكى عن رجل فى الأولين ، أصابه جرح ، فجزع منه ، ولم يصبر على ألمه ، فحز يده بالسكين ، فقطع بها شريانا ، فسال دمه سيلانا ، ولم يرقأ الدم أى لم يجف ولم يسكن حتى مات منتحرا ، فحرم الله عليه الجنة ، لأنه مات منتحراً .

هذه الصورة يحكيها الرسول ، ليشير إلى أنه لا يجدر بالمسلم أن يتعجل قضاء الله فيه ، ولا يليق به أن يهرب من الحياة ، وإلى أنه يجب أن يواجه الخطوب فى شجاعة ، ولا يضيق بما يلقى صدرا ، وإلى أنه يجب أن يعيش على

الأمل ، ويكون قويا بأمله ، ولا يغلق أبواب النجاة عما يصيبه . إن سلاح المسلم الصبر والمصابرة والثبات ، وليس سلاحه الهرب والتهور والطيش . وهذه هي وصية الرسول لمن يصيبه ضر : « لايتمنى أحدكم الموت لضر أصابه. فان كان لابد فاعلا فليقل : اللهم ، أحيني ماكانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى ماكانت الوفاة خيرا لى » .

وعن أبي ذر ومعاذ بن جبل - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » (أخرجه الترمذى) ، فهذه دعوة كريمة إلى تقوى الله فى كل مكان وعلى أى حال ، ودعوة إلى فعل الحسنات ، ودعوة إلى حسن الخلق ، وفى قوله - عليه الصلاة والسلام - : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » ، تبصرة للمسلم أن يحاسب نفسه ويراجع عمله ، فان اتفق له أن أذنب أو أساء فى حق الله وأدرك ذنبه وزلته ، فبدلا من أن يبخع نفسه ويرهقها بالحساب فتح الرسول له بابا من التوبة والتكفير عن وزره والتطهر من ذنبه بفعل الحسنة التى تمحو السيئة ، وتزيل - باذن الله - آثارها . فاذا كانت السيئة متعلقة بحق الله كتأخير الصلاة عن وقتها والرفث فى الصيام فهذه سبيل محوها وإن كانت متعلقة بحق العباد كالغش والغيبة والنميمة والسرقة وجب عليه - ليمحو الله آثارها - أن يعترف لمن ارتكبت فى حقه ويسأله الصفح ويؤدى له ماسلبه إياه إن كان قد سلبه شيئا ، فذلك أجدر أن يعفو الله عنه ، وإلا جاء يوم القيامة مفلسا عن . أبي هريرة - رضى الله عنه - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: « أتدرون من المفلس؟ قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فان

فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » (١) (أخرجه مسلم) .

١٤ — أدب الصغار :

عن عمر بن أبى سلمة ـ رضى الله عنه ـ قال : « كنت غلاما فى حجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت يدى تطيش فى الصحفة ، فقال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ياغلام ؛ سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك . . فما زالت تلك طعمتى بعد » . يؤدب الرسول هذا الغلام ـ ومثله غلمان المسلمين ـ بآداب المائدة :

فعلى الطاعم أن يسمى الله عندما يطعم ؛ إشارة منه إلى حمد الله وشكره على نعمته التى أنعم بها عليه ، إذ يرزقه طعامه ، ويمكنه من تناوله .

وعلى الطاعم أن يتناول طعامه بيمناه ؛ إيثارا للفطرة السليمة التى تحب التيامن فى كل شىء . والمسلم أولى أن يؤثر هذه الفطرة ، ويجعلها ديدنه وعادته .

وعلى الطاعم أن يأكل مما يليه أى من أقرب موضع يجد فيه طعامه ، فذا علامة القناعة والنزاهة . أما إذا ذهبت يده كل مذهب فى أرجاء المائدة وبين الأطباق فإنه يدل على شراهة نفسه ، فينفر منه من يجالسونه ، ويحملهم برعونته على كراهته وكراهة الطعام .

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » (أخرجه أبو داود) . وفى هذا

(١) شرح هذا الحديث فى كتابنا (فى رحاب الهدى النبوى) ـ ص ٢٢ .

الحديث يرشد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الآباء والأمهات إلى ماينبغى أن يؤدبوا عليه أولادهم بشأن الصلاة ـ ومثلها سائر الطاعات ـ حتى تصبح لديهم عادة ، فهم يعلمونهم إياها ، ويدربونهم عليها ، فى سن السابعة ، فإذا اشتد عود الأبناء والبنات ، وبلغوا سن العاشرة ، كان لهم ـ إذا وجدوا استجابة أولادهم ناقصة ولاحظوا إهمالهم ـ أن يضربوهم ضرب التأديب والإصلاح . وليس من شك فى أن الطاعة إذا تحولت إلى عادة كانت أدعى إلى الاستمساك بها وممارستها وعدم التهاون فيها .

كذلك يرشد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الآباء والأمهات إلى أن يفرقوا بين الأولاد فى المضاجع أى أماكن النوم ، ذكورا كانوا أو إناثا أو مختلطين ، فيكون لكل ولد ولكل بنت مكان نومه الخاص . وذلك يحقق أمرين : إشعار كل واحد بشخصيته المستقلة منذ الصغر ، ووقايتهم من الانحراف الجنسى والانحلال السلوكى .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « لعن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال » (أخرجه البخارى) ، فهذا الحديث يعتبر الرجل الذى يتشبه بالمرأة عاصيا ، ويجعل المرأة التى تتشبه بالرجل عاصية ؛ بدليل الدعاء عليهما باللعنة أى الطرد من رحمة الله . وقد استحق كلاهما اللعنة ؛ لأنه يحاول أن يخرج من طبيعته البشرية إلى طبيعة أخرى لم يخلق لها ، فالرجل بطبيعته الرجولية لايجوز له أن يتشبه بالمرأة فى نعومتها وليونتها ، ولا فى حركاتها وصوتها ، ولا فى لبسها وزينتها ، ولا فى أصباغها وإرسال شعرها . والمرأة بطبيعتها الأنثوية لايجوز لها أن تتشبه بالرجال فى خشونتهم أو ملابسهم أو استئصال شعورهم ، وماإلى ذلك مما هو من خصائصهم . إن احتفاظ كل من النوعين بطبيعته البشرية الخاصة وبما تقضى هذه الطبيعة به فيه خير كثير لذات كل منهما ولنوعه وللمجتمع .

١٥ — تحرى السلامة :

فى سبيل تحرى السلامة يدفع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسلم إلى الاشتغال بما يعنيه وترك مالا يعنيه ؛ فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » (أخرجه الترمذى) . وواضح أن فى ترك الإنسان ما لا يعنيه راحة له ، وبعدا عن الشبهات والريب ، التى ينبغى ألا يضع المسلم فيها نفسه . ويؤيد هذا مارواه الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ قال : « حفظت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : دع مايريبك إلى مالا يريبك » (أخرجه الترمذى والنسائى) ، وهذا يشمل كل قول وكل فعل ، فعلى المسلم العاقل أن يتحرى سلامة قوله ، ونزاهته ، ونقاءه من الفسوق والشتائم والظنون السيئة والمطاعن والمغامز ، وأن يتحرى سلامة فعله ، فلا يطعم ولا يشرب إلا مايطمئن إليه وما تسكن إليه نفسه ، سواء أكان ذلك بسبب شبهة من الحرام تعلق بالطعام أو الشراب ، أو بسبب أن نفسه تعافه ، وذلك حتى لايقدم على ارتكاب منكر ، ولا يعود يتقزز أو يتقرف . وعلى المسلم العاقل ألا يسعى فى الشر وألا يدل عليه وألا يساعد فيه ، لأن ذلك يلحق به الريب ، ويجعله فى موطن الشبهة ، إن لم يضعه فى موضع التهمة . وخليق بالمسلم أن يتقى الشبهات حتى يستبرىء لعرضه ودينه .

ومن تحرى السلامة أن يتطبب المسلم . والطب نوعان : طب وقائى ، وطب علاجى ، وقد عنى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالأمرين .

فمن الطب الوقائى مارواه البخارى فى كتاب الطب أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ خرج إلى الشام ، فأخبره الناس أن الوباء قد وقع بها ، فأخذ يستشير رفاقه : أيدخـــل الشام وبها الوباء أم يرجع عنها ؟ ؛ حتى قال له عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ : « إن عندى فى هذا علما ، سمعت

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : إذا سمعتم به (أى بالوباء) بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلاتخرجوا فراراً منه ». ومثل ذلك روى عن أسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها »[1] .

والحكمة من حديث الرسول واضحة ، وهى حصر موطن الوباء ، ومنع انتشاره ، وحماية الجهات السالمة منه من أن ينتقل إليها بالعدوى ، أو يتلوث منه جوها ، وهذا هو مايسمونه الآن (الحجر الصحى ـ أو ـ العزل الصحى) ، فمن عرف أن أرضاً موبوءة لايدخلها حتى لايتعرض للمرض ، ومن كان فى أرض موبوءة أقام فيها ولم يخرج منها حتى لايكون سبباً فى نقل المرض ، وعليه أن يتحمل مايصيبه ، وأن يعالج نفسه ، حتى يصح بإذن الله .

ومن الطب العلاجى مارواه أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « ماأنزل الله داء إلا أنزل له شفاء » (أخرجه البخارى)، ومارواه أسامة بن شريك ـ رضى الله عنه ـ قال : « أتيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه كأنما على رءوسهم الطير ، فسلمت ، ثم قعدت ، فجاء الأعراب من ههنا وههنا ، فقالوا : يارسول الله ؛ أنتداوى ؟ فقال : تداووا؛ فإن الله ـ عزوجل ـ لم يضع داء إلاوضع له دواء ، غيرداء واحد : السام»[2] (أخرجه أبوداود)، ومارواه عمرو بن دينار ـ رضى الله عنه ـ « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عاد مريضا ، فقال لأهله : أرسلوا إلى الطبيب . فقال

---

(١) الطاعون فى عرف العرب كل مرض وبائى . وإن شئت أطلقته على المرض الذى يعرفه الطب باسمه ويقاس عليه سائر الأمراض الوبائية .

(٢) السام هو الموت ، كما نصت أحاديث أخر

قائل : أنت تقول ذلك يارسول الله : فقال رسول الله : نعم ، فإن الله ـ عزوجل ـ لم ينزل داء إلا أنزل له دواء » . وهذه أحاديث واضحة الدلالة فى ضرورة التطبب ، واستدعاء الطبيب للفحص والتشخيص والعلاج ، وطلب الأدوية للأدواء .

ومن المعجزات المحمدية هذا الحديث الذى أخرجه البخارى وأبوداود والنسائى وابن ماجه ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ؛ فإن فى أحد جناحيه داء والآخر شفاء » ، فقد أثبت الطب فى ألمانيا وإنجلترا وسوسرا وغيرها أن فى الذباب مادة من الفطريات تعتبر مضاداً حيوياً وقاتلة للمكروب ، فإذا غمس الذباب فى الإناء ساعة يقع فيه كانت هذه المادة سبباً فى إبادة الجراثيم التى تركها أو إبعاد ضررها[1] .

وقد قال الدكتور أبو شهبة : إن علماءنا الأوائل قالوا : لامانع عقلا أن يجمع الله الداء والدواء فى شىء واحد ، بل هو أمر مشاهد ، فالنحلة تلقى السم من أسفلها وتخرج من فمها عسلا فيه شفاء للناس ، والحية سمها قاتل ومع ذلك يدخل فى الترياق الذى يعالج به السم . ولا مانع من أن يهدى الله الذبابة أن تقدم ـ حال وقوعها فى الإناء ـ جناحا وتؤخر آخر ، كما يهدى النملة إلى ادخار قوتها لأوان الحاجة ، وإلى أن تفلق الحبة نصفين لئلا تنبت ، وكما يهدى النحلة إلى بناء بيتها على أعظم نظام هندسى[2] .

---

(١) انظر تحقيقاً علميا للطبيب الدكتور محمود كمال والطبيب الدكتور محمد عبد المنعم حسين نشر بمجلة الأزهر ـ عدد رجب ١٢٧٨ هـ ، وانظر كتاب الدكتور محمد محمد أبى شهبة : دفاع عن السنة ـ ص ١٩٩ وما بعدها ـ طبع مطبعة الأزهر ـ ١٩٦٧ م

(٢) ص ٢٠٠ من كتابه : دفاع عن السنة .

١٦ - توجيه السلوك البشرى :

روى عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كثير من الأحاديث التى تتناول السلوك البشرى كواقع يعترف به الإسلام ، ويوجهه إلى الوجهة التى فيها غناء المسلم ، وفائدته ، وسعادته فى الدنيا والآخرة .

عن أبى الأحوص - رضى الله عنه - قال : « أتيت النبى - صلى الله عليه وسلم - فى ثوب دون فقال : ألك مال ؟ قلت : نعم . قال : من أى المال ؟ قلت : من الإبل والبقر والخيل والرقيق ، قال : فإذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته » (أخرجه أبو داود والنسائى) .

فالرسول يحث صاحبه على أن يتمتع بما آتاه الله ، ويشير إلى أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، فلا يجوز أن يكون مقترا على نفسه ويحجر عليها بمثل ما صنع هذا الصحابى الغنى عندما جاء النبي يلبس ثوبا دونا أى رديئا خسيسا ، بل عليه أن يكرم نفسه ولا يهينها ، وأن يتحدث حاله بنعمة الله عليه ، « وأما بنعمة ربك فحدث » (الضحى ١١) ، بشرط ألا يجره هذا إلى الإسراف والتبذير .

ومن حديث عن ابن عمر - رضى الله عنهما - يقول الرسول - عليه الصلاة والسلام - : « وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » (أخرجه البخارى) فالرسول يدعو إلى أن يغتنم المسلم أوقات الصحة بالعمل فيها ، فانه قد يعجز عن هذا العمل لعلة تعرض له ، والرسول يدعو إلى أن يتزود المسلم بالتقوى فى حياته قبل أن تحين ساعة الفراق ، فلا يملك وقتا للتوبة ، أو لتكفير السيئات بالعمل الصالح .

وعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه

أغض للبصر، وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» (أخرجه الشيخان). يدعو الرسول الشباب إلى الزواج إذا قدروا على تكاليفه وتبعاته ، حتى تعف أبصارهم وبطونهم ، فإن لم يقدروا على هذه التكاليف والتبعات نصحهم الرسول بالصوم ؛ لأن الصوم - وخاصة إذا جاء على وجهه الصحيح - سبيل إلى تهذيب النفوس ، وترقيق المشاعر ، مما يساعد على تسكين الرغبة ، وتخفيف حدتها ، ووقاية أنفسهم من الانحراف والزلل .

وعن عائشة - رضى الله عنها - «أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبى الله - صلى الله عليه وسلم - ياعائشة ، ما كان معكم لهو ؟ ؛ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»؛ ففى قول الرسول هذا إشارة إلى جواز اللهو البرىء فى المناسبات السارة ، فان النفس البشرية تميل بفطرتها إلى الطرب ، فلا داعى للحجر عليها ، لكن الشريعة تقيد ذلك الطرب بما لا يكون فيه تخلع ولا إثارة للشهوة، ولا تبذل ؛ لما يجر إليه من المفاسد ، ويترتب عليه من الفتنة .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (أخرجه ابن ماجه والبيهقى) ، فالرسول يشير إلى أن الله - سبحانه وتعالى - تجاوز عن المسلمين إثم الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ؛ لأن مرتكب الأوزار فى حال من هذه الحالات لا يكون متعمداً الضرر والإضرار ، والناس يتعرضون لمثل هذا كل يوم وكل وقت ؛ فمن باب الرحمة بهم تجاوز لرسوله إثمها . لكن إذا تعلق الفعل بحق من حقوق العباد وجب أن يقضى هذا الحق ، إلا أن يعفو صاحبه .

١٧ ـ الجائزة والثواب :

المسلم مجزى بعمله الجزاء الأوفى ، وعند الله الجائزة والثواب والمكافأة لكل من قدم عملا صالحا ولكل من نبذ عملا سيئا ، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » (أخرجه الشيخان) .

وباب الحسنات وثوابها مفتوح . والمسلم عليه أن يزكى بالحسنة عن أعضائه ، فكل سلامى أى كل عضو عليه صدقة ، أى فعل من أفعال البر يؤديه كل يوم ، ما استطاع . عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كل سلامى من الناس عليه صدقة . كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة » (أخرجه الشيخان) .

وفى الإنفاق على الأهل صدقة ، وثوابه كثواب الصدقة ، إذا احتسب المرء إنفاقه ، وقصد به رضا الله ـ تعالى ـ فعن أبى مسعود الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة » . وهكذا كل فرض وواجب ، تفضل الله فجعل فيه أجرا ، فإذا زاد المسلم فيه تطوعا كان له الأجر مضاعفا .

وقد تأتى الصدقة الإنسان من غير أن يقصد إليها . عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « مامن مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وماسرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة » (أخرجه مسلم) .

فلهذا الغارس صدقة بمقدار ما يأكل آكل من غرسه ، وصدقة بمقدار مايسرق سارق من غرسه ، وصدقة بمقدار مايرزؤه فى غرسه أحد أى يصيبه فيه بالنقص ، وسواء أكان الآكل منه إنسانا أم حيوانا أم طيرا أم حشرة ، وسواء أكان الرزء والتلف بفعل فاعل أم بسبب آفة .

حتى ما يصيب المؤمن من الأوجاع والأسقام والأمراض والهموم ، فيصبر لها ولا يتسخط ، يجعل الله فيها تكفيراً لسيئاته ، أو يكتب له بها حسنة ، أو يحط عنه بها خطيئة . عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ما يصيب المؤمن من وصب ، ولا نصب ، ولا سقم ، ولا حزن ، حتى الهم يهمه ـ إلا كفر به من سيئاته »[1] (أخرجه مسلم) ، وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : مامن شىء يصيب المؤمن ، حتى الشوكة تصيبه ـ إلا كتب الله بها حسنة ، أو حطت عنه بها خطيئة » (أخرجه مسلم) .

---

(١) الوصب : المرض المزمن . النصب : التعب . السقم : المرض ، وهى من أمراض الظاهر غالبا . والحزن : الهم ، وقيل : يختص الحزن بما مضى فينشأ من فقد ما يشق على المرء فقده ، والهم بما يأتى فينشأ من الفكر فيما يتوقع حصوله مما يتأذى منه ، وهما من أمراض الباطن . وقاك الله ـ وإيانا ـ شرها جميعا .

١٨ — الوعيد لمن ينحرف :

وفى مقابل الثواب والمكافأة عن الأعمال الصالحات جاء الوعيد عن سيئات الأعمال ، قصد التنفير منها ، والتحذير من ارتكابها . والأحاديث فى ذلك كثيرة :

ففى ذم السرقة وتهجين أمرها : يروى أبو هريرة - رضى الله عنه - قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « لعن الله السارق ، يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده » .

وفى النهى عن إدمان الخمر ، وعن الانخداع بالسحر ، وعن قطع الرحم التى أمر الله أن توصل : يروى أبو موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «لايدخل الجنة مدمن خمر ، ولا مؤمن بسحر ، ولا قاطع رحم » (أخرجه ابن حبان) .

وفى التحذير من الانتحار وبيان جزائه الفظيع يوم القيامة : يروى أبو هريرة - رضى الله عنه - قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » (١) .

وفى تسفيه عبيد الدنيا ذوى الجشع والنهم . يروى أبو هريرة - رضى الله عنه - قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ! . إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط . تعس

---

(١) تردى من جبل : أى أسقط نفسه منه . تحسى سما : تجرعه وعالج حسوه أى شربه شيئا فشيئا . يجأ بها فى بطنه : أى يطعن بها فى بطنه .

وانتكس ! ، وإذا شيك فلا انتقش ! » [١] .

وفى الزجر عن خيانة الأمانة ، وخيانة الرعية ، وظلمهم ، وغشهم : يروى معقل بن يسار - رضى الله عنه - قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « مامن عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بالنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة » ، وقوله - عليه الصلاة والسلام - : « مامن وال يلى رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة » .

وفى التخويف من آفة الكبر مهما كان مقداره ومهما بلغ الغاية فى القلة ، ومن أن يصعر المرء خده للناس ، ويتباهى عليهم ، ويتيه بما أعطى : يروى عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » (أخرجه أحمد ومسلم) .

وفى تحريم اقتتال المسلمين واعتداء بعضهم على بعض ظلما وعدوانا : يروى أبو بكرة - رضى الله عنه - قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار . فقلت : يارسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ . قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه » (أخرجه البخارى) .

وفى تصوير الإفلاس الدينى ، للتنفير منه ومن أسبابه : يروى أبو هريرة رضى الله عنه - قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « أتدرون من المفلس . . . الحديث » [٢] .

---

(١) تعس : هلك وكب على وجهه . الخميصة : كساء أسود مربع له أعلام وخطوط . انتكس : عاوده المرض كما بدأ به . شيك : أصابته شوكة . انتقش : استخراج الشوكة . يدعو عليه بالتعاسة وبمعاودة الداء ، وبألا يستطيع أن يخرج الشوكة إذا أصابته ، وهو دعاء بالخيبة والخسران والوبال .

(٢) سبق فى ص ١٠٦ .

١٩ — مقاومة الباطل :

أرشد الرسول - عليه الصلاة والسلام - إلى ضرورة مقاومة الباطل بمقاومة المبطلين ، والضرب على أيديهم ، ومواجهتهم بالحق ، والاستمساك بالحق ؛ انتصاراً له ، مهما لقى العاملون فى سبيل ذلك من العنت والمشقة والاضطهاد . عن طارق بن شهاب البجلى - رضى الله عنه « أن رجلا سأل النبى - صلى الله عليه وسلم - وقد وضع رجله فى الغرز [1] : أى الجهاد أفضل ؟ . قال : كلمة حق عند سلطان جائر » (أخرجه النسائى) . وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان » (أخرجه مسلم وكذلك أبو داود والترمذى والنسائى) وقد مر بك [2] حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه » ، وما ذاك إلا لأن الانتصار للحق انتصار لله ، وإعلاء لكلمته فى الأرض .

٢٠ — مجاهدة العدو :

قد يدفع المسلمون إلى مجاهدة عدوهم ، ومقاومة غزوه وتسلطه ، وخضد شوكته ، وتمزيق شمله ، دفاعا عن الحق الذى عليه المسلمون ، ونشداناً للسلام الذى يرتضيه الإسلام . وقد أعد الله للمجاهد من الأجر والفضل ما يجعله مطمئنا إلى صنيعه ، واثقا من نصر الله أو من الجنة . عن أبى هريرة

---

(١) الغرز : ركاب الرحل ، أى أن الرسول كان فى حالة الاستعداد للركوب والرحيل .

(٢) ص ١٠٤ من هذا الكتاب .

رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « مثل المجاهد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ـ كمثل الصائم القائم . وتوكل الله للمجاهد فى سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة »(١) وعنه : « جاء رجل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : دلنى على عمل يعدل الجهاد . قال : لا أجده . قال (الرسول) : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر . قال (الرجل) : ومن يستطيع ذلك ! » . وعنه أيضا أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « والذى نفسى بيده ؛ لا يكلم أحد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم فى سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة ، وجرحه يثعب دما ؛ اللون لون الدم ، والريح ريح المسك »(٢) (أخرجها البخارى) .

وخير الجهاد ما كان فى سبيل الله ؛ ولتكون كلمة الله هى العليا . أما ما كان لطلب الغنائم ، أو للرغبة فى الشهرة بالشجاعة ، أو للرياء والنفاق ـ فإنما يبتغى به غير الله فلا يكون خالصا لوجهه الكريم . عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ـ قال : « جاء رجل إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ـ فمن فى سبيل الله ؟ . قال (الرسول) : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » (أخرجه البخارى) .

وكل من يعين المجاهد على أمره له فضل كفضل المجاهد نفسه ، ومن أولئك : من يخلف المحارب فى أهله ، أو ماله ، ومن يتولى عمليات التموين خلف خطوط القتال ، ومن يجهز الميرة ، ومن يعد الأسلحة ، ومن يتكفل بصيانة المعدات ، ومن يحفر الخنادق ، ومن يقوم على شئون الحراسة ، وأجهزة

---

(١) توكل الله إلخ : أى تكفل له وضمن أن يدخله الجنة .

(٢) يكلم : يجرح ، والكلم الجرح ، يثعب دما : يجرى بالدم

الاتصال ، والاستخبار ، والإعلام ، والتطبيب ، والتمريض ، والمواساة ، والتحميس ، والوعظ... الخ ، مادام كل ما يتولونه فى صالح المعركة الناشبة مع العدو . عن زيد بن خالد - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا » (أخرجه البخارى) .

وللمرأة من كل أولئك نصيبها كما للرجل ، فقد شرفت المرأة الصحابية بالجهاد على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما شرف الرجل . روى البخارى عن الربيع بنت معوذ - رضى الله عنها - قالت : « كنا نغزو مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نسقى القوم ، ونخدمهم ، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة » . وعن أم عطية الأنصارية - رضى الله عنها - قالت : « غزوت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبع غزوات ، أخلفهم فى رحالهم ، وأصنع لهم الطعام ، وأداوى الجرحى ، وأقوم على الزمنى » .

ولا يزال المسلمون فى جهاد - حتى القيامة - انتصارا للحق ، وانتصافا للعدل ، وإعلاء لراية السلام ؛ عن جابر بن عبدالله - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة » .

هذه الأمثلة التى جلوناها غيض من فيض من هدى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأدبه النبوى العالى ، نرجو أن يجد فيها المهتدون بهذا الهدى حلو الجنى والمتأدبون بهذا الأدب أطيب الثمر ، وأن يعوها ويقدروها ، وأن تكون لهم خير زاد فى رحلة الحياة .

وبالله التوفيق ؟

فهرس

تم الفهرس

للمؤلف

في الدراسات الإسلامية :

١ ــ في رحاب الهدى النبوي (مجموعة من الأحاديث المختارة مشروحة بأسلوب جديد) .

٢ ــ التعريف بالحديث الشريف .

في الدراسات النقدية :

١ ــ قضايا النقد الأدبي الحديث (يعالج أهم القضايا النقدية الحاضرة ، ويربطها بالتراث النقدي العربي) .

٢ ــ الاتجاهات الفنية في شعر عبد الرحمن شكري (وشكري هو أحد الرواد الذين حملوا لواء تجديد الأدب العربي في أوائل هذا القرن) .

٣ ــ قصة خان الخليلي لنجيب محفوظ . عرض وتحليل ونقد

٤ ــ مسرحية السلطان الحائر لتوفيق الحكيم . تطبيق هادف

٥ ــ ملهاة الشاعر أحمد شوقي ـ الست هدى .

في الدراسات الأدبية :

١ ــ نصوص مختارة من العصر العباسي الثاني والثالث (مشروحة ومحللة ومنقودة) .

٢ ــ ابن زيدون وشعره (دراسة مركزة عن حياة ابن زيدون وعصره وبيئته وأدبه وشاعريته وحركة الابداع الفني عنده ، مع مجموعة صالحة من شعره مشروحة ومحللة ومنقودة) .

٣ ــ أناشيد المرحلة الأولى ـ بالاشتراك مع آخرين (مجموعة منتقاة من الأناشيد لأبنائنا تلاميذ المدرسة الابتدائية في خمسة أجزاء من تأليف المؤلف وغيره) .